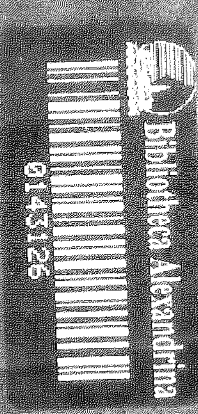
أجاثا كريستي





المكتبة الثقافية
بيروت

أجاثا كريستي

جنون الانتقام



المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الفصل الأول

رفيق السفر

انجلترا ...

ها هو ذا يعود اليها بعـــد عدة أعوام فهل سيعجب بها ؟.. سأل لوك فيتز ويليام نفسه ذلك السؤال الذي كان يدور في خلده طوال فترة الانتظار التي قضاها في الجمرك .

إن انجلترا إذا ذهب المرء اليها ليمضي فيها إجـــازته تعني نقوداً تبعثر ذات اليمين وذات اليسار .. تعنى أصدقاء يبحث المرء عنهم ليزورهم .. تعني أصدقاء آخرين قدموا إلى انجلترا لتمضية إجازاتهم .. تعني جواً لا يأبه بشيء ، وكان لسان حال المرء يقول : « حسناً .. لن يطول الأمر » ومن الأفضل أن يستمتع المرء بنفسه ، فعما قريب سأعود من حيث جئت .. »

ولكن الأمر هـــذه المرة يختلف عن ذلك .. فلن تكون هناك عودة .. لن يعود إلى الليـــالي الحارة والشمس الساطعة والزروع التي اشتهرت بها المناطق الحارة .. لن يمضي الليالي الطويلة وحيداً يقرأ ثم يعيد قراءة صحيفة « التيمس».

ها هو ذا الآن وقد بلغ سن التقاعد وسيتقاضى معاشاً يضيفه إلى دخل خاص ضئيل ، فإذا به وقد أصبح جنتلماناً عاطلاً ، فماذا سيصنع بنفسه ؟.

انجلترا .. انجلترا في يوم من أيام شهر يونيو والسماء قد غطتها الغيوم والرياح قارصة .. وكأنها لا ترحّب بالقـادم .. والكثير من الناس علت وجوههم غبرة مثل السماء المكفهرّة وقد ارتسم عليها القلق والاهتمام .

أما المنازل فهي صغيرة كريهة في كل مكان وكأنها العشب الكثيف الجاف أو أقفاص « الدجاج » الكبيرة قد انتشرت في جميع البقاع .

وبذل لوك جهداً ليحوّل نظره بعيداً عن نافذة القطار الذي كان يستقله ، ونقل عينيه إلى الصحف التي اشتراها منـــذ وقت قصير ، وكانت صحيفة « التيمس » وصحيفة « الديلي كلاريون » ومجلة « بنش » .

وبدأ بصحيفة الديلي كلاريون التي كانت لا تحوي إلا أنباء السباق في ابسوم ، ودار في خلده : « من المؤسف أننـا لم نصل هنا أمس ، إذ انني لم أشهد سباق الدربي منذ كنت في التاسعة عشرة من عمري » .

وكان لوك قد راهن في النادي على أحد الخيل ، فبـدأ في البحث في صحيفة الكلاريون ليعرف ما يقوله مراسلها عن مبلغ قوة هذا الحصان في الفوز ، فإذا به يجده وقد أظهر المراسل احتقاره إياه في العبارة التالية : « .. أما دون ذلك من الخيل ، مثل جوجوب الثاني وماركس مايل وسانتونس وجيرى بوي ، فمن غير المتوقع أن يفوز أحدهما بأي مركز من المراكز الثلاثة الأوّل ... »

ولكن لوك لم يهتم بذلك وانتقلت عيناه إلى نسبة الرهان .. وهناك وقعت عيناه على جوجوب الثاني ووجد أن نسبة الفوز له هي ٤٠ إلى واحد .

ونظر لوك إلى ساعته فوجد أنها الرابعة إلا الربـع ، ففكر قائلاً: « حسناً.. لقد انتهى الأمر الآن » .. وتمنى أن يكون قـــد راهن على كلاريد جولد الذي اختاره المراسل الثاني في ترشيحاته للفائزين .

ثم فتح صحيفة « التيمس » وانهمك في قراءة بعض مواضيعها . ولكن ذلك لم يستمر لمدة طويلة ، لأن عقيداً ذا وجه صارم كان جالساً في الركن المقـابل له أثار ثائرته ، وما كان قد قرأه لم يجد مفرّاً من التعليق عليه لزميله المسافر معه..

وهكذا أمضى الاثنان نصف ساعة في تبادل الحديث ، وبعدها هدأ الرجل العنيد ثم أخذته سنة من النوم وقد فتح فمه . وبعد فترة قصيرة توقف القطار ، فنظر لوك من النافذة ليجد أنه في محطة تبدو خاوية وفيها عديد من الأرصفة .. ووقعت عيناه على أحد الأكشاك المخصصة لبيع الصحف في نهاية الرصيف الذي توقف عنده القطار ، ورأى لافتة كبيرة تحمل كلمتي « نتيجة الدربي » . وفتح لوك الباب وقفز إلى الخارج وجرى مسرعاً نحو كشك الصحف، وبعد لحظة كان يحدق والابتسامة العريضة على شفتيه وهو يقرأ بضعة أسطر تحت عنوان ..

« نتيجة الدربي »

جوجوب الثاني

مازيبا

كلاريجولد

وزادت ابتسامة لوك اتساعاً، إذ أن ذلك معناه حصوله على مائة جنيه يفعل بها ما يشاء .. وطوى الصحيفة وعاد من حيث أتى ليجد أنه وحده في المحطة وأن القطار قد غادرها بدون أن يحسّ بذلك، ورأى حمالاً على مقربة منه فسأله في انفعال وضيق :

— بحق الشيطان متى غادر القطار المحطة ؟.

فأجابه الحمال :

— أي قطار ؟.. لم يتوقف قطار هنا منذ قطار الساعة الثالثة و ١٤ دقيقة .

— لقد كان هنا قطار منذ لحظات ونزلت أنا منه .. القطار السريع القادم من الميناء ..

فأجابه الحمال في جفاف :

— إن قطار الميناء لا يتوقف في أي مكان إلا في لندن .

فقال لوك في تأكيد :

— ولكنه توقف هنا .. ونزلت أنا منه .

فأجابه الحمال في إصرار :

– إنه لا يتوقف إلا في لندن .

– ولكنه توقف عند هذا الرصيف ونزلت أنا منه كما قلت لك .

وإذ رأى الحمال أنه يواقع حقائق قال في تأنيب :

– لم يكن يجدر بك أن تفعل ما فعلت .. إنه لا يتوقف هنا .

– ولكنه وقف فعلاً .

– لقد توقف لأن إشارة خلو الطريق لم تكن مفتوحة له .. وليست هذه محطة .

– لست خبيراً مثلك بهذه المصطلحات، والمشكلة الآن ماذا عليّ أن أفعل؟

فأعاد الحمال قوله :

– لم يكن يجدر بك النزول منه .

فقال لوك :

– أنا أعترف معك بذلك .. ولكن الخطأ قد ارتكب ولا سبيل لتداركه باسترجاع الماضي الخ. الخ. والذي اريد أن أصل اليه هو ماذا ينصحني به رجل مثلك له خبرة في خدمة السكك الحديدية ؟

– أنت تسألني ماذا يحسن بك عمله ؟!

فقال لوك :

– هذه هي الفكرة ، وأظن أن هناك قطارات تقف هنا بصورة رسمية ؟

– نعم .. ومن الأفضل لك أن تأخذ قطار الرابعة و ٢٥ دقيقة .

فقال لوك :

– إذا كان هذا القطار يذهب إلى لندن فإنني سأستقله .

وعندما تأكد لوك من ذلك مضى يذرع رصيف المحطة جيئة وذهاباً حيث وجد لافتة عرف منها أنه في محطة فيني كلايتون التي تُعتبر محطة صغيرة توصل إلى قرية ويتشوود أندر آسن .. وبعد قليل أقبل قطار يجرُّ عربة واحدة ..

وترجّل من العربة ستة أو سبعة رجال، ثم عبروا الكوبرى واتجهوا إلى الرصيف الذي وقف عليه لوك .. ولم تمضِ لحظات حتى دبّت الحياة والحركة في الحمال ، إذ بدأ يدفع عربة محملة بالصناديق والسلال ، وسرعان ما شاركه حمال آخر بدأ يحمل أوعية اللبن .. وهكذا استيقظت فيني كلايتون .

وأخيراً أقبل القطار المتجه إلى لندن، وكانت عربات الدرجة الثالثة مزدحمة، أما الدرجة الاولى فقد كانت تتكوّن من ثلاثة دواوين في كل منهـا راكب أو جمع من الراكبين .. ومضى لوك يتفحص الدواوين بدقة، ففي الأول وجد رجلاً تنطق ملامحه بأنه من الرجال العسكريين يدخن سيجاراً، ولم يجد في نفسه قابلية للجلوس مع أحد فاتجه إلى الديوان الثاني الذي كان يضمُّ سيدة شابة يظهر عليها أنها مربية أطفال ، ومعها طفل في الثالثة ممتلىء حيوية ونشاطاً .. وهنـا غادر لوك مكانه بسرعة متجهاً إلى الديوان الثالث الذي كان بابه مفتوحاً وليس به إلا راكبة واحدة متقدمة في السن ذكـّرته شيئاً ما بإحدى عماته وهي العمة ميلدرد التي كانت على قدر من الشجاعة جعلتها تسمح له بأن يحتفظ ، وهو في العاشرة من عمره، بأحد الثعابين الصغيرة .. ومن المؤكد أن عمته ميلدرد كانت من العمات الطيبات ، وعلى ذلك دخل لوك الديوان وجلس .

وبعد خمس دقائق من النشاط والحركة في المحطة بدأ القطار يتحرك ببطء ، فأعاد لوك النظر في صحيفته وبدأ يتجه بناظريه إلى الأنبـاء التي تجذب انتباه الرجل عادة .

ولم يكن لوك يأمل في أن يتابع قراءته لمدة طويلة لأنه ، وهو الذي له عمات كثيرات ، كان على ثقة من أن السيدة العجوز لن تمضي طوال الطريق إلى لندن وهي في صمت .

وكان لوك محقاً فيما توقعه .. إذ كانت هنـاك نافذة تحتاج إلى مَن يقفلها .. وبعد قليل كانت السيدة تحدثه عن محاسن ذلك القطار الذي يستقلانه :

– إنه يقطع المسافة في ساعة وعشر دقائق فقط ، وهذا زمن جيد .. زمن

جيد جداً.. أفضل بكثير من قطار الصباح الذي يقطع المسافة في ساعة وأربعين دقيقة .. ثم مضت تقول :

– بطبيعة الحال يستقلُّ الجميع تقريباً قطار الصباح وخاصة لأن أجر السفر به أقل ، وقد كنت معتزمة السفر بقطار الصباح ، ولكنني كنت لا اعرف أين مكان « وونكي بوه » قطي الفارسي .. إنه قط جميل ولكنه كان يتألم أخيراً من أذنه ، ولم أتمكن من مغادرة البلدة حتى وجدت القط .

وتمتم لوك :

– بالطبع كلا ... ثم خفض بناظريه إلى الصحيفة ، ولكن كان ذلك عبثاً إذ استمرت السيدة تتحدث :

– وعلى ذلك أخذت قطار المساء وإن كان ذلك له محاسنه لأنه غير مزدحم مثل قطار الصباح ولو أن ذلك لا يعد شيئاً هاماً إذا سافر المرء بالدرجة الاولى.. طبعاً لا أفعل ذلك عادة ، إذ أنني أرى في ذلك إسرافاً ، وخاصة بعد زيادة الضرائب ونقص أرباح الأسهم وزيادة أجور الخدم.. وكل شيء.. ولكنني كنت مضطربة حقاً .. لأنني ، كما ترى ، سأذهب في مهمة هامة جداً وكنت أودُّ أن أفكر فيما سأقوله بالضبط في هدوء .. فإذا كان هناك أكثر من مسافر اضطرّ المرء أن يتحفظ معهم ، وعلى ذلك قررت السفر بالدرجة الاولى هذه المرة فقط، ولو أنه لا داعي لمثل ذلك التبذير .

ثم نظرت بسرعة إلى وجه لوك الذى لفحته الشمس وقالت :

– من الطبيعي أنني أعرف أن الضباط المسافرين ليقضوا عطلاتهم لا بدّ أن يسافروا بالدرجة الاولى لأنه يتعين عليهم ذلك .

فقال لوك :

– لست ضابطاً .

– اوه .. آسفة .. لم أقصد .. لقد ظننت .. أن الشمس قد لفحتك .. ربما اعتزمت قضاء عطلتك هنا بعد خدمتك في الشرق ..

أنا عائد من الشرق ولكنني لست في إجازة ... ثم أضاف قائلاً : أنا من رجال الشرطة .

– حقاً .. من رجال الشرطة ؟! هـــذا أمر يثير الاهتمام .. إن لي صديقة عزيزة انضمّ ابنها إلى رجال شرطة فلسطين .

وأراد لوك أن يجنبها مزيداً من الأسئلة فقال :

– كنت أعمل في مضيق مايانج .

– هذا غريب .. مصادفة عجيبة حقاً .. أعني سفرك معي في هذا الديوان .. لأن مهمتي التي أسافر من أجلها إلى لندن تتعلق بذهابي إلى سكوتلانديارد .

فتساءل لوك : حقاً ؟

ثم ساءل نفسه : « هل تراها ستفرغ ما في جعبتها بعـــد قليل ، أم تراها ستمضي على هذه الحال حتى نصل إلى لندن ؟ » ..

واستمرت السيدة في حديثها لتقول :

– لقد كنت أزمع الذهاب في قطار الصباح كما قلت لك ، إن بحثي عن ونكي بوه هو الذي ثبطني .. ولكن ألا تظن أن الوقت متأخر ؟.. أعني هل هناك مواعيد خاصة للعمل في سكوتلانديارد ؟

فقال لوك :

– لا أظن ، إنهم ينقلون مكاتبهم في الساعة الرابعة أو نحوها .

– لا طبعاً .. لا أظن ذلك .. أعني ربمـا يرغب أحد في الإبلاغ عن جريمة خطيرة في أية دقيقة .. أليس كذلك ؟

– تماماً .

وصمتت السيدة برهة وظهر عليها القلق ثم قالت :

– أنا من الذين يؤمنون بالذهاب إلى المسؤول الأول فوراً .. حقاً إن جون ريد ، رجل الشرطة عندنا في ويتشوود ، رجل ظريف مؤدب ، ولكنني لا أشعر أنه الشخص الذي يمكنه معالجة شيء خطير ، إذ قـــد تعوّد التعامل مع

السكارى أو الذين يتجاوزون حدّ السرعة في قيادتهم أو الذين يتجاوزون وقت الإضاءة أو الذين تهاونوا في استخراج رخص لكلابهم ، ولكنني لا أظن ، بل أنا متأكدة ، انه ليس بالشخص الذي يمكنه معالجة جريمة ..

وارتفع حاجبا لوك في عجب وقال :

— جريمة ؟!

وأومأت السيدة العجوز برأسها في شدة وقالت :

— نعم .. جريمة .. أرى أنك مشدوه .. لقد كنت مثلك في بادىء الأمر حتى انني ما كنت اصدق نفسي وظننت أنني أتخيّل أشياء ..

فسألها لوك في رقة :

— هل أنت متأكدة أنك لم تتخيلي ذلك ؟

فهزّت رأسها في تأكيد وقالت :

— اوه .. كلا .. ربما تخيلت ذلك في المرة الاولى .. ولكن لم يحدث ذلك في المرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة .. بعد ذلك يوقن المرء .

فسألها لوك :

— أتعنين بذلك أنه وقعت عدة جرائم ؟

فأجاب الصوت الرقيق الهادىء :

— نعم .. يؤسفني أن أقول ذلك .. ولذلك فكرت أنـــه من الأفضل أن أذهب رأساً إلى سكوتلانديارد وأقص عليهم ذلك .. ألا تظن أن ذلك هو الأفضل ؟

وهنا نظر لوك اليها في تفكير ثم قال :

— نعم، أظن أنك مصيبة فيما قلت .. ومضى يدير في مخيّلته كيف سيتخلص رجال سكوتلانديارد من أمثال تلك السيدة التي تتخيل أشياء

وأفاق من تأملاته على صوتها :

— هل تعلم أنني تذكرت أني قرأت يوماً قضية آبر كومبي الذي قــام بسمّ

كثير من الناس قبل أن يثير الشبهات حوله .. وأن أحدهم قال انه كان يتميز بنظرة خاصة ينظر بها إلى الشخص ، وما أن يمضي وقت قصير بعد ذلك حتى يقع ذلك الشخص فريسة المرض ؟.. أنا لم اصدق حقاً ما قرأت ، ولكنني أقر الآن أن ذلك أمر حقيقي .

– ما هو الحقيقي ؟

– تلك النظرة التي يلقى بها الشخص .

وحدّق لوك فيها فرآها ترتعش قليلاً كما أن وجناتها القرمزية قد فقدت بعضاً من لونها .

– لقد شهدت تلك النظرة أولاً في حالة آمي جيبز .. وماتت آمي .. ثم مع كارتر .. ثم مع تومي بيرس .. ولكن الآن .. بالأمس فقط .. كانت تلك النظرة موجهة إلى الدكتور همبلي .. وهو رجل طيب ، طيب حقاً .. لقد كان كارتر سكيراً ، وكان تومي فتى صفيق الوجه وقحاً يسيء معاملة الصغار ، ولم أشعر بأسى عميق نحوهم ، ولكن الأمر يختلف بالنسبة للدكتور همبلي إذ يجب إنقاذه .. والشيء المريع انني لو ذهبت اليه وقلت له ذلك لما صدّقني بل لضحك مني ، كما أن جون ريد لن يصدقني أيضاً .. ولكن الأمر سيكون مختلفاً مع سكوتلانديارد ، لأنه من الطبيعي أنهم معتادون مواجهة الجرائم .

واتجه نظرها إلى النافذة ثم قالت :

– اوه .. إننا سنصل بعد دقيقة .. ثم فتحت حقيبتها وأغلقتها ، وأمسكت بمظلتها وقالت :

– أشكرك .. لقد شعرت براحة في الحديث معك ، وأنا سعيدة إذ تظن انني أقوم بما يجب عليّ عمله .

فقال لوك في عطف :

– إنني متأكد أنهم سيُسْدون اليك في سكوتلانديارد النصيحة الخالصة .

ثم مضت تبحث في حقيبتها عن شيء وهي تقول :

– إنني حقاً أشعر بامتنان لك .. هـذه بطاقتي .. اوه .. ليس معي إلا هذه البطاقة فقط ويجب أن أحتفظ بها لأقدم بها نفسي إلى سكوتلانديارد .

– طبعاً .. طبعاً .

– ولكن اسمي هو بنكرتون .

– اسم ملائم جداً لك يا مس بنكرتون .

قالها لوك وهو يبتسم .

ثم أضاف في سرعة :

– اسمي لوك فيتز ويليام .

وعندما وقف القطار على الرصيف أضاف متسائلاً :

– هل أستدعي لك سيارة ؟

وكأن تلك الفكرة صدمت مس بنكرتون ، إذ قـالت وهي تستنكر ذلك السؤال :

– كلا أشكرك.. سأستقل مترو النفق وسأصل به إلى ميدان الطرف الأغر ومن هناك أسير حتى هوايتهول .

– حسناً .. أتمنى لك حظاً سعيداً .

وفي حرارة صافحته مس بنكرتون وقالت :

– لقـد كنت رقيقاً معي .. هل تعـلم أنني ظننتك لا تصدقني في بادىء الأمر ؟

وهنا احمرّ وجه لوك خجلاً وقال :

– حسناً .. عديد من الجرائم .. من الصعب أن ترتكب عدة جرائم بغير أن تكتشف .. أليس كذلك ؟

فهزّت مس بنكرتون رأسها وقالت :

– كلا .. كلا .. يا ولدي العزيز .. لقد أخطأت في ذلك .. إنه من السهل جداً ارتكاب جريمة قتل ، ما دام لا يوجد هناك أحد يشتبه فيك .. وكما تعلم فإن الشخص المقصود هنا هو آخر شخص يمكن للمرء الاشتباه فيه .

فقال لوك :

– حسناً .. على كل حال أتمنى لك حظاً سعيداً .

واختفت مس بنكرتون بين الجموع ، بينما ذهب هو يبحث عن متـــاعه وهو يفكر :

أتراها مخبولة قليلاً ؟.. كلا ، لا أظن ذلك .. إن الأمر كله لا يعـدو مخيلة حيّة .. أرجو أن يعاملوها برفق لأنها عجوز طيبة .

الفصل الثاني

إعلان نعي

كان جيمي لوريمر يُعدُّ من أصدقاء لوك القدامى ، حتى أن لوك نزل ضيفاً على جيمي فور وصوله إلى لندن .. وفي صباح اليوم التالي كان لوك شارد الفكر عندما سمع جيمي يسأله وهو يعيد قراءة خبر في الجريدة فأفاق من شروده وقال:

– آسف يا جيمي .

– فيمَ كنت شارد الفكر ؟ هل كنت تفكر في الموقف السياسي ؟

فقال لوك ·

– كلا ، كنت افكر في أمر غريب ، فبالأمس كانت رفيقتي في القطار عجوز وقد قرأت الآن أن سيارة قد دهمتها فصرعتها .

– وكيف عرفت أنها هي التي كانت في القطار ؟

– طبعاً قـــد لا تكون هي ، ولكنه نفس الاسم الذي ذكرته لي .. بنكرتون .. وقد دهمتها السيارة أثناء عبورها هوايتهول ، ولم تتوقف السيارة.

– أمر محزن .

– نعم ، إنني آسف لما حدث للسيدة العجوز فقد ذكرتني بعمتي ميلدرد .

– إن سائق السيارة لا بدّ أن يُقبض عليه يوماً وتُوجه اليه تهمة القتل الخطأ.

وبعد اسبوع كان لوك يلقي نظرة عابرة على الصفحة الاولى من صحيفة التيمس ، عندما أطلق صوت تعجب وقال :

– اللعنة !

ورفع جيمي لوريمر رأسه وسأل :

– ما الأمر ؟

ولم يُجب لوك إذ كان يحدق في اسم مطبوع أمامه . وأعاد جيمي سؤاله ، فرفع لوك رأسه ونظر إلى صديقه وكانت ملامحه غريبة ، حتى ان جيمي شعر بالرهبة وسأل صديقه :

– ما الأمر يا لوك ؟ إن منظرك غريب وكأنك شاهدت شبحاً !

ومرّت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يجيب الآخر .. وسقطت الصحيفة من يده وسار حتى النافذة ثم عاد مرة اخرى حيث كان، بينما كان جيمي يرقبه في دهشة متزايدة .. ثم ألقى لوك بجسده في أحد المقاعد وانحنى إلى الأمام وقال :

– جيمي .. أتذكر أنني حدثتك عن سيدة عجوز سافرت معها حتى لندن في اليوم الذي وصلت فيه إلى انجلترا ؟

– أتعني تلك التي ذكرتك بعمتك والتي دهمتها بعد ذلك إحدى السيارات؟

– هي نفسها .. اصغ ِإليّ يا جيمي، لقد ذكرت لي قصة طويلة مؤدّاها أنها كانت في طريقها إلى سكوتلانديارد لتقصّ عليهم نبأ عديد من الجرائم ، وأن هناك قاتلاً مطلق السراح في قريتها . هـــذا هو مجمل قصتها ، وإن ذلك القاتل ينفذ جرائمه بسرعة .

– أذكر أنك لم تقل لي انها مخبولة .

– لم أظنها كذلك .

– اوه لا تقل ذلك يا صديقي ، جرائم بالجملة !

فقال لوك في صبر أوشك على النفاد :

— لم أظن أن بها خبلاً ، بل ظننت أنها تترك العنان لمخيلتها بعض الشيء كما تفعل السيدات العجائز أحياناً .

— حسناً ، ربما كان الأمر كذلك ، ولكن لا بد أنها كانت مخبولة بعض الشيء أيضاً حسب ظني .

— دعنا مما تظن يا جيمي ، لأنني الآن أقول لك .

— حسناً ، حسناً . . استمر في حديثك .

— لقد ذكرت بعض القرائن إذ صرحت باسم واحد أو اثنين من الضحايا ، ثم قالت ان ما يبلبل خاطرها أنها عرفت مَن سيكون الضحية التالية .

فقال جيمي متسائلاً في تشجيع :

— حسناً ، مَن ؟

— أتذكر أحياناً كيف يعلق اسم بذاكرتك لسبب صغير قد يكون سخيفاً. إن الاسم الذي ذكرته علق بذاكرتي لأنه يذكرني بإحدى أغنيات الطفولة . . هذا الاسم يا صديقي هو همبلي ، الدكتور همبلي . . فقد ذكرت السيدة العجوز أن الضحية التالية ستكون الدكتور همبلي ، وإنها كانت مضطربة لأنه « رجل طيب » ، وكما ذكرت علق الاسم بذاكرتي للسبب الذي قلت لك عنه .

فقال جيمي :

— وبعد ؟

— حسناً ، انظر إلى هذا .

وأعطاه لوك الصحيفة وقد أشار بإصبعه إلى نبأ في عمود الوفيات : « همبلي توفي فجأة يوم ١٣ يونيو حيث يقيم في ويتشوود أندر آسن. جون ادوارد همبلي طبيب ، زوج جيسي روز همبلي . تشييع الجنازة يوم الجمعة ، الرجاء عدم إرسال زهور » .

— أترى الآن يا جيمي ؟ إنه نفس الاسم في نفس المكان، وهو أيضاً طبيب، فما قولك ؟

ومرّت لحظة قبل أن يجيب جيمي في صوت جاد :

– ربما يكون الأمر مجرد مصادفة بحتة .

– أهي مصادفة يا جيمي ؟ أهذا كل ما في الأمر ؟

ومرة أخرى بدا لوك يذرع الحجرة جيئة وذهاباً فقال جيمي :

– ماذا تكون غير ذلك ؟

وهنا استدار لوك بسرعة وقال :

– لنفترض ان كل كلمة قالتها تلك العجوز كانت الحقيقة .. لنفترض أن تلك القصة الخيالية لم تعد الحقيقة المجردة !

– هذا أمر لا يصدق إذ لا يحدث مثل ذلك .

– وما رأيك في قضية آبر كومبي ؟ ألم يقتل عدداً غير قليل ؟

فقال جيمي :

– نعم ، أكثر مما أدين به ، فإن لي صديقاً له ابن عم كان يعمل محققاً في تلك القضية وسمعت شيئاً من تفاصيلها منه . فقد قبض على آبر كومبي وهو يعطي زرنيخاً للطبيب البيطري ، ثم أخرجوا جثـــة زوجته ووجدوا أنها ماتت من تعاطي الزرنيخ ، ومن المؤكد أن شقيق زوجته قد مات أيضاً بنفس السم وليس هذا هو كل ما في الأمر ، إذ ذكر لي صديقي أن ابن عمه قال ان المسئولين يقدرون الضحايا بما لا يقل عن خمس عشرة ضحية .

– تماماً ، إذن فمثل هذه الأشياء تحدث فعلاً .

– نعم ، ولكنها لا تحدث بكثرة .

– وكيف علمت ؟ انها قد تحدث أكثر مما يخيل إليك !

– انك تتكلم بعقلية رجل الشرطة ؟ ألا يمكنك أن تنسى انك شرطي وخاصة بعد أن تقاعدت ؟

– الشرطي يظل طوال عمره شرطياً . والآن استمع إلى جيمي لنفترض أن آبر كومبي قبل أين يبدأ في ارتكاب جرائمه تحت أنظار الشرطة كانت جرائمه

قد اكتشفت سرها سيدة عجوز عانس فأسرعت إلى المسئولين لتخبرهم بهـــا . لنفترض ذلك ، فهل تظن أنهم كانوا يصغون إليها ؟

وابتسم جيمي وقال :

— وأي إصغاء ؟

— هب أنهم قالوا أنها مخبولة ، تماماً كما قلت أنت ، أو ذات مخيلة غنيــة كما قلت أنا ، وتبين خطأ ما ذهب اليه كلانا .

— ما هو الوضع الحقيقي إذن ؟

فقال لوك ببطء :

— الوضع كما يلي : « لقــد سمعت قصة غير محتمل حدوثها وإن لم يكن من المستحيل وقوعها، وهناك واقعة واحدة تؤيد تلك القصة ألا وهي موت دكتور همبلبي . لقد كانت مس بنكرتون في طريقها إلى سكوتلانديارد لتذكر لهم تلك القصة الغريبة البعيدة الاحتمال ولكنها لم تصل إلى هناك ، لقـــد دهمتها سيارة سيارة وقتلتها ، ولم تتوقف السيارة .

وهنا عارضه جيمي قائلاً :

— أنت لا تعرف ما إذا كانت قد وصلت إلى هناك أم لا . إذ ربما تكون قد قتلت بعد زيارتها لسكوتلانديارد وليس قبل ذلك .

— ربما ، ولكني لا أظن ذلك .

— هذا مجرد افتراض ، وخلاصة الموضوع انك تثق في تلك المأساة .

فهزّ لوك رأسه في حدة وقال :

— كلا ، أنا لا أقول ذلك ، كل مـا أقوله هو أن هناك قضية تستوجب الاستقصاء .

— أو بمعنى آخر ، هل ستذهب أنت إلى سكوتلانديارد ؟

— كلا ، لم يصل الأمر بعد إلى هذا الحد ، وكما قلت أنت قد يكون موت ذلك الرجل المدعو همبلبي مجرد صدفة عابرة .

– إذن ما يدور في ذهنك ؟

– إن رأيي أن أذهب إلى ذلك المكان وأتقصى الأمر ، ألا توافقني على أن هذا هو الشيء الوحيد المعقول الذي يمكن عمله ؟

وحدق جيمي فيه طويلاً ثم قال :

– لوك ، هل أنت جاد فيما تقول ؟

– تماماً .

– لنفترض أن الأمر كله لا يعدو كونه تخيلات ؟

– إذن يكون ذلك أفضل .

وقطب جيمي جبهته وقال :

– طبعاً ، ولكنك لا تظن أن الأمر كذلك ، أليس كذلك ؟

– يا صديقي ، إنني لا أجرؤ أن أصل إلى قرار ما بدون إثبات، ثم سكت برهة تساءل بعدها جيمي :

– ألديك خطة ما؟ أعني يجب أن يكون هناك أكثر من سبب يدعو شخصاً مثلك للوصول فجأة إلى تلك القرية ؟

– نعم ، أظن أنه سيكون لدي السبب .

– الأمر يا صديقي لا يحتمل الظن ، هل تدرك معنى الحياة في قرية انجليزية صغيرة ؟ إن رائحة الغريب هناك تمتد إلى مسافة ميل على الأقل .

– سأتنكر في شخصية ما ، فماذا تقترح لي ؟ فنان ؟ أظن أن ذلك من الصعوبة بمكان لأنني أعرف الرسم أو التلوين .

وهنا اقترح جيمي أن يكون لوك فناناً من المدرسة الحديثة ولكن لوك قال:

– ما رأيك في التأليف ؟ أظن أن المؤلفين قد يذهبون إلى فنادق القرى الصغيرة لكتابة مؤلفاتهم ، أو لصيد السمك ، ولكن علي أن أعرف ما إذا كان هناك نهر بقرب القرية ، أو تراني أدعي أنني في دور النقاهة من مرض وان الطبيب نصحني بالذهاب إلى الريف ، أوه ! لا بد أن يكون هناك سبب قوي

لغريب متمتع بكامل الصحة في الذهاب إلى قرية انجليزية ؟

فقال جيمي :

ـ انتظر قليلاً ، أعطني الصحيفة التي كنت تقرؤها .

ونظر جيمي إلى الصحيفة بدقة ثم هتف صائحاً :

ـ لقد ظننت ذلك يا لوك ، سأرتب لك كل شيء ، وبسهولة .

واستدار لوك بسرعة وقال :

ـ ماذا تقول ؟

فقال جيمي في فخر :

ـ لقد ظننت ان فيما قرأت شيئاً أتذكره ، ويتشوود اند آسن ، انها نفس القرية .

ـ هل في القرية صديق لك يعرف المحقق الجنائي مثلاً ؟

ـ ليس لي من أصدقاء في تلك القرية بل هنالك ما هو أفضل من ذلك .. انك تعلم أن الحياة قد منحتني عدداً وفيراً من العمات وأبناء العمومة فقد كان أبي أحد ثلاثة عشر من الأخوة ، والآن انصت إليّ جيداً ، ان لي ابنة عم في قرية ويتشوود اندر آسن .

ـ حدثني عنها .

ـ انها تدعى بريدجت كونواي وهي تعمل في العامين الأخيرين كسكرتيرة للورد هويتفيلد.

ـ أتعني ذلك الرجل الذي يملك تلك الصحف الأسبوعية الكريهة ؟

ـ تماماً ، وهو أيضاً رجل قصير كريه ، مختال ، ولد في ويتشوود اندر آسن ، ولما كان من النوع الذي يحدثك عن وضاعة أصله ومنشئه وكيف صنع من نفسه شيئاً كبيراً ، فإنه عاد إلى قريته مسقط رأسه واشترى المنزل الكبير الوحيد في المنطقة (ومما هو جدير بالذكر ان ذلك المنزل كان مملوكاً من قبل لعائلة بريدجت)وهو الآن مشغول في تحويل ذلك المنزل إلى نموذج لسراي كبيرة.

– وابنة عمك تعمل سكرتيرة له ؟

– كانت .. لأنها حصلت على ما هو أفضل من ذلك ، فهي الآن مخطوبة له، وهو صيد ثمين بطبيعة الحال فهو على درجة كبيرة من الثراء ، وكانت بريدجت قد فشلت في غرام لها من قبل وتأثرت كل التأثر اثر ذلك ، وأظن انها ستكون الآن حازمة مع زوجها القادم وانه سيطيعها طاعة عمياء .

– وما هو دوري إذن ؟

– تذهب إلى هناك على انك أحد أبناء عمومتها إذ ان لها عدداً كبيراً منهم، وواحد لا يقدم ولا يؤخر وسأرتب الأمور معها فقد كنا أصدقاء دائماً ، اما السبب الذي يدعوك للذهاب إلى القرية فإنه سيكون السحر يا صديقي .

– السحر ؟

– السحر الذي يزاوله أفراد الشعب ، والعقائد المحلية ، ومثل هذه الأمور، فالقرية مشهورة بتلك الأشياء ، وفي القرية مكان كان السحرة يجتمعون فيه ، وكان السحرة منذ قرن مضى يحرقون في تلك القرية ، ستجد فيهـــا تقاليد عجيبة ، وستدعي انك تؤلف كتاباً تجمع فيه بين عادات مضيق مايانج والتقاليد الانجليزية القديمة ، الشبه ومظاهر الاختلاف إلى غير ذلك، ويمكنك ان تتنقل وفي يدك مفكرة وتقابل أقدم السكان سناً لتسألهم عن العادات والتقاليد المحلية إذ انهم قد اعتادوا هـذا الأمر ، كما انك إذا اقمت في « آسن مانور » فإن ذلك سيكون دليلاً على صحة ما تدعيه .

– وماذا عن لورد هويتفيلد !

– سيكون الأمر على ما يرام فهو غير متعلم ويصدق اى شيء يقال له حتى انه يصدق فعلاً ما يقرؤه في صحفه ، وعلى كل حال فإن بريدجت ستتولى امره وانا اثق فيها .

وتنهد لوك في عمق وقال :

– جيمي .. يظهر ان الأمر سيكون سهلاً ، انت رجل مذهل إذ كان في

إمكانك حقاً ترتيب الموضوع مع ابنة عمتك ؟

– سيكون الأمر على ما يرام تماماً ، دع ذلك لي .

– إن امتناني لك لا حد له .

فقال جيمي :

– كل مـا اطلبه منك إذا كنت ستقبض على قاتل مجنون فاستدعني قبيل اللحظة الحاسمة .. ثم نظر إلى لوك وقال في حدة :

– ما الأمر ؟

فقال لوك في بطء :

– لقد تذكرت شيئاً قالته السيدة العجوز. كنت ذكرت لها ان من الصعب ارتكاب عديد من الجرائم بدون اكتشاف امرها فقالت لي انني مخطيء وان من السهل جداً ارتكاب جريمة قتل .

وصمت ، ثم عاد يقول في بطء :

– وإني لأعجب يا جيمي مما إذا كانت تلك هي الحقيقة بعينها ام ما إذا كان.

– ماذا ؟

– من السهل ارتكاب جريمة قتل .

الفصل الثالث

ساحرة بدون مكنسة

كانت الشمس لا تزال في أفق السماء عنـدما أوقف لوك سيارته المستعملة التي كان قد اشتراها حديثاً ، وذلك عنـدما وصل إلى قرية ويتشوود أندر آسن . وكان اليوم صيفاً حاراً ، ونظر إلى القرية فرأى أن يد التطور لم تمسها وأن عليها مسحة من البراءة والأمن ، وكانت تتكوّن أساساً من شارع رئيسي طويل . ودار بخلد لوك انه ربما تكون قد مسّته لوثة من الجنون ، لأن الموضوع كله يكاد يكون خيالياً . هل جاء حقاً إلى تلك القرية ليكشف الستار عن قاتل وليس لديه أي دليل سوى ثرثرة سيدة عجوز ونعي وقع عليه نظره مصادفة . وهزّ رأسه وهو يتمتم :

« من المؤكد أن مثل هذه الأشياء لا يمكن حدوثها ، أم تراها تحدث فعلاً ؟ وعليّ أن أثبت لنفسي ما إذا كنت أعظم أبله حملته الأرض ، أو ما إذا كانت حاستي البوليسية قادتني إلى مجرم خفي » .

وبعد قليل أدار محرّك سيارته وقادها إلى الشارع الرئيسي للقرية التي كانت – كما قلنا من قبل – تتكوّن أساساً من ذلك الشارع . وكانت هنـاك حوانيت ومنازل من الطراز القديم تظهر عليها علامات الارستقراطية والدرجات المؤدّية

إلى أبوابها ذات اللون الأبيض .. كما كانت هناك أكواخ جميلة تحيط بهـا حدائق مزهرة . وكان هناك فندق يدعى « بلز وموتلي » يقع خلف الشارع الرئيسي بقليل، كما كانت هناك حديقة عامة خاصة بالقرية وبحيرة يسبح فيها البط ، وكان بالقرب منها منزل كبير ظنّه لوك في أول الأمر مبتغاه الذي أطلق عليه آسن مانور ، ولكنه عندما اقترب منه أدرك خطأه إذ شاهد عليه لافتة كبيرة كتب عليها « المتحف والمكتبة » . وبعد مسيرة دقائق رأى مبنى ضخماً على الطراز الحديث يخالف بذلك باقي مباني القرية . وعرف لوك أن ذلك المبنى يضمّ المعهد ونادي الشباب ، وهنا توقف لوك ليسأل عن آسن مانور الذي ينشد الوصول اليه .

وقيل له ان آسن مانور يقع على مسافة نصف ميل وانه سيرى بوابته على اليمين . وسار لوك في طريقه ورأى البوابة الحديدية الظاهر عليها الجدة ، فقاد سيارته مارّاً بها ورأى بناء أحمر يبدو قليلاً من بين أغصان الأشجار ، وبعد أن انحنى به الطريق وقع نظره على البناء الشامخ المواجه له والذي يخيل للناظر اليه أنه قلعة من القلاع القديمة البغيضة . وبينما كان يتأمل ذلك الكابوس الماثل أمامه شاهد فتاة تظهر قادمة من جانبه ، ورأى أن شعرها الأسود قد لعبت به ريح هبّت فجأة، فذكـّره منظرها بصورة رآها مرة لساحرة .. هذا الوجه الشاحب الدقيق الملامح وذلك الشعر الأسود المتطاير إلى أعلى .. وما كان ليدهش لو أنه رأى تلك الفتاة وقد امتطت مكنسة مثل الساحرات القدامى حينما كنّ يطرنَ في السماء ابتغاء بلوغ القمر !!.

وأقبلت الفتاة نحوه مباشرة وبادرته بقولها :

— لا بد أنك لوك فيتز ويليام .. أنا بريدجت كونواي .

فأمسك باليد التي دفعتها نحوه ورآها الآن على حقيقتها .. فارعة ، رشيقة ، ذات وجه دقيق الملامح ، وخدّين غائرين بعض الشيء ، وحـاجبين مقرونين وعينين سوداوين ، وشعر فاحم .. وخيّل اليه أنها مثل لوحة دقيقة مرسومة ، لوحة جميلة .. فقال :

– كيف حالك ؟ يجب عليّ أن أقدم اليك اعتذاري لأنني أقحمت نفسي عليك بهذه الطريقة ، ولكن جيمي قال لي ان ذلك لن يضيرك .

– إن ذلك لن يضيرنا في شيء بل إننا في سرور زائد .. ثم ابتسمت ملء نواجذها فجأة وقالت :

– أنا وجيمي دائماً نقف متساندين ، فإذا كنت تزمع الكتابة عن العادات والتقاليد فهذا هو المكان الذي تنشده ، ففيه جميع الأنواع والأماكن التي تحتاج اليها .

– رائع ..

وسارا معاً نحو المنزل .. وتذكر لوك أن جيمي قد ذكر له أن ذلك المنزل كانت تملكه من قبل أسرة بريدجت .. ثم اختلس نظرة اخرى إلى جانب وجهها وهي تسير بجواره .

إن يديها الجميلتين تنبئان عن حسن رائع ..

كانت في الثامنة والعشرين من عمرها ، ويدلُّ مظهرها على الذكاء وأنها من ذلك النوع من البشر الذين لا يمكنك معرفة شيء عنهم إلا إذا أفضوا به اليك .

ومن الداخل كان المنزل مريحاً ونظامه يدلُّ على جودة الذوق ، جودة ذوق فنان متخصص .. وقادته بريدجت كونواي إلى حجرة مليئة بأرفف الكتب والمقاعد المريحة ، حيث كانت إحدى موائد الشاي بجوار نافذة وقد جلس بجوارها شخصان ، فقالت :

جوردون .. أقدّم لك لوك وهو ابن عم لأحد أبناء عمومتي .

وكان لورد هوايتفيلد رجلاً ضئيل الجسم ذا رأس يكاد يكون أصلع ، وكان ذا وجه مستدير ، يلبس ملابس تدلُّ على عدم العناية بانتقائها ، وحيّا لوك قائلاً :

– أنا سعيد برؤيتك ، سعيد جداً .. لقد سمعت أنك عدت منذ وقت قريب من الشرق ، وهو أمر مثير .. وتقول بريدجت أنك تؤلف كتاباً .. والقول السائد الآن أن كتباً كثيرة تؤلف ، وأنا أقول كلا .. يوجد مكان للكتاب

الجيد في أي وقت .

وقدّمته بريدجت إلى الشخص الثاني قائلة :

ــ هذه عمتي مس آنسترونر .. وهزّ لوك يدها ، يد سيدة متوسطة العمر ذات فم يدلُّ على البله بعض الشيء .

ولم يمضِ وقت قليل حتى علم لوك أن مسز آنسترونر قـــد وهبت عقلها وإحساسها لشيء واحد هو فلاحة البساتين ، فقد كانت لا تتحدث إلا عنها ولا يشغل ذهنها سواها ، إذ أنها قالت بعد التقديم :

ــ أتعلم يا جوردون أن أفضل مكان لحديقة صخرية هو المكان الذى يقع بعد حديقة الورود ، وعندئذٍ يمكنك أن تحصل على أفضل حديقة مائيـــة في المكان الذى يتساقط فيه ماء الغدير ؟

وتمدّد لورد هوايتفيلد إلى الخلف على مقعده وقال ببساطة :

ــ يمكنك ترتيب كل ذلك مع بريدجت .. أنا أعرف أن النباتات الصخرية نباتات صغيرة ، ولكني لا أظن أن ذلك من الأهمية بمكان .

فقالت بريدجت :

ــ أنا لا أظن أن النباتات الصخرية هي مـــا تريده يا جوردون .. ثم صبّت بعضاً من الشاى من أجل لوك ، وهنا قال جوردون :

ــ أنت على حق .. أنا لا أظنهـــا تساوى ما يصرف عليها من المال .. فزهورها لا تكاد تراها العين، وأنا احب الزهور الكبيرة أو زهور الجيرانيوم.

ولكن مسز آنسترونر كانت تحسن مـــا تتحدث عنه دون الالتفات إلى أية مقاطعات ، ولذلك قالت :

ــ أنا أعتقد أن هذه الورود للنباتات الصخرية سيوافقها هـــذا الطقس .. ومضت تشرح وجهة نظرها بالنماذج التي أمامها .

وألقى لورد هوايتفيلد بجسده الضئيل إلى ظهر المقعـد ومضى يرشف الشاى في بطء وهو يتفحص لوك ، ثم تمتم :

ـ أنت إذن تؤلف كتباً ؟

وشعر لوك بشيء من الضيق وكاد يبدأ في الإيضاح ، بيد أنه لاحظ أن لورد هوايتفيلد لم يكن يعني بسؤاله مزيداً من المعلومات ، حيث قال :

ـ لقد فكرت كثيراً في أنني أودّ لو كتبت كتاباً ما .. وأرجو ملاحظة أن في استطاعتي عمل ذلك وأنه سيكون عندئذٍ كتاباً شيّقاً جداً ، فلقد عرفت أناساً كثيرين يثيرون الاهتمام ولكن مشكلتي أنه ليس لديّ الوقت فأنا رجل في شغل دائماً .

ـ طبعاً ، لا بد أنك ذلك الرجل .

فقال لورد هوايتفيلد :

ـ لن تصدّق مقدار ما أحمله من أعباء على كتفي ، فإنني أهتمّ شخصياً بكل واحدة من مطبوعاتي وأعدّ نفسي مسؤولاً عن تشكيل الرأي العـــام . ففي الاسبوع القادم سيفكر ملايين من الناس حسبما أردت لهم أن يفكروا ويشعروا وهذا يعني مسؤولية كبيرة بالنسبة لي ، ولكنني لا أهاب تلك المسؤولية ولا أخافها لأنني أهل لها .

وانتفخ صدر لورد هوايتفيلد وحاول أن يقلل من حجم بطنه وهو ينظر إلى لوك في صداقة .. وهنا قالت بريدجت كونواي :

ـ أنت رجل عظيم يا جوردون ، هل لك في مزيد من الشاي ؟

فأجاب لورد هوايتفيلد في بساطة :

ـ أنا رجل عظيم .. كلا .. لن أتناول مزيداً من الشاى .

ثم هبط من عليائه إلى مستوى البشر وسأل ضيفه في رقة :

ـ هل تعرف أحداً في هذه البقاع ؟

فهزّ لوك رأسه ثم رأى أنه من الأفضل له أن يبـدأ في تقصّي ما جاء من أجله ، ولذا قال :

ـ على الأقل هناك رجل وعدت أن أزوره وهو صديق لأصدقاء لي ، وهذا

الرجل يدعى همبلي وهو طبيب .

وهنا استقام لورد هوايتفيلد في مقعده وقال :

– اوه .. دكتور همبلي ؟ يا للأسف !

– ما الذي يدعو للأسف ؟

– لقد مات منذ اسبوع .

– يا للأسف ! إنني آسف لذلك .

– لم أكن أظن أن أمره يهمك ، إذ انه كان صلب الرأي ، عنيد وأبله .

فقالت بريدجت :

– وذلك معناه أنه عارض جوردون .

فقال لورد هوايتفيلد :

– أظن أنه يمكنني أن أقول لك أن الموضوع يتعلق بمصدر المياه،فكما تعلم يا مستر فيتز ويليام أنا شخص أشعر في قرارة قلبي بصالح هذه البلدة فقد ولدت هنا .. ولدت في هذه البلدة .

وفي أسى شعر لوك أنهم قد تركوا موضوع همبلي إلىموضوع لورد هوايتفيلد الذي مضى يقول :

– وأنا لا أخجل من ماضيّ ولا يضيرني معرفته ، إذ لم تكن لديّ الفرص الطيبة الطبيعية مثل غيري، فإن أبي كان يملك حانوت أحذية.. نعم ، حانوت أحذية عادي .. وكنت أعمل في هذا الحانوت وأنا حدث صغير .. ولقد رفعت من شأن نفسي بوسائلي الخاصة يا فيتز ويليام ، إذ صممت على أن اخلص نفسي من ذلك الحضيض .. وبالتصميم ، والعمل الشاق ، ومساعدة الله ، تمكنت من ذلك ، وهذا ما جعلني ما أنا عليه الآن .

وتبع ذلك سرد حافل لحياة لورد هوايتفيلد الذى ختم حديثه بقوله :

– وهأنذا الآن لا يهمني أن يعرف العالم كيف وصلت إلى ما أنا عليه الآن، فلست أخجل من آلام صباي .. وهأنذا قد جئت إلى المكان الذى نشأت

وولدت فيه .. أتعرف ماذا يوجـد مكان الحانوت الذي كان يملكه والدي ؟ بناء حديث تبرّعت به .. إنه يضمّ معهداً ودياً للشباب، وهو على أحدث طراز إذ قام بتصميمه أفضل المهندسين في البلاد ، ولو أنه ـ في نظري ـ لم يبذل جهداً خاصاً في تصميمه .

فقالت بريدجت :

ـ هذا لا يدعو للأسف فقد حققت رغباتك في هذا المنزل .

وهنا ضحك لورد هوايتفيلد محبذاً ما قيل .

ـ نعم .. لقـد حاولوا أن يتغلبوا على إرادتي هنا إذ قالوا لي انني يجب أن أتقيد بالطابع الخاص للبناء ولكنني رفضت قائلاً انني سأقطن في هذا المكان وأنني أود ان أظهر للناس ان لدى أموالاً ولذا فعندمـــا رفض أحد المهندسين تنفيذ رغباتي عزلته واستدعيت غيره حيث حقق رغباتي .

فقالت بريدجت :

ـ لقد عمل من تحقيق ما شط به خيالك الجامح .

فقال لورد هوايتفيلد وهو يربت على ذراعها :

ـ لقد كانت تود لو ترك المكان على حاله التي كان عليها .. ولكن لا فائدة من الحياة في الماضي يا عزيزتي فإن القدامى لم يكونوا يعرفون الكثير وأنا لم أكن أرغب في بناء عادي من طوب أحمر فقد كنت دوماً أرغب في قلعة وهأنذا قد حصلت عليهـــا الآن ، وأنا أعرف ان ذوقي ليس ممتازاً ومن ثم تركت حرية التصرف للمختصين لتنظيم البناء من الداخل كيفما شاؤوا ولا بد ان أعترف انهم نجحوا في ذلك ولو انه يخيل إلي أن بعض الأشياء ليست كما يجب .

فقال لوك وقد خانته الكلمات :

ـ حسناً .. إنه شيء يدعو إلى الفخر ان يعرف المرء ماذا يريد حقاً .

فقال الآخر وهو يضحك :

ـ وعادة أحصل على ما أريد .

فقالت بريدجت وكأنها تذكره :

– ولكنك كدت تفقد ما كنت تريده خاصة بمشروع المياه .

فقال لورد هوايتفيلد ؟

– آه .. ولكن همبلبي كان أبله ، إن هؤلاء العجائز يكونون عادة أغبياء لا ينصتون إلى صوت العقل .

فقال لوك :

– أظن أن دكتور همبلبي كان رجلا صريحا ، أليس كذلك ؟ ولا بد أنه قد خلق لنفسه أعداء كثيرين عن هذا الطريق على ما أظن ! .

فقال لورد هوايتفيلد وهو يحك أنفه في تفكير :

– لا .. لا أظن ذلك ، أليس كذلك يا بريدجت ؟

فأجابته بريدجت ؟

– لقد كنت دائما أظن انه محبوب جداً من الجميع وأنا لم أره عن قرب إلا عندما جاء ليعالج كاحلي وعند ذاك وجدت انه شخص عزيز .

فقال هوايتفلد مؤيداً :

– نعم .. لقد كان محبوباً من الجميع ولو انني أظن ان شخصاً أو شخصين كانا على خلاف ذلك وأظن ان مرد ذلك يرجع إلى عناده وغبائه .

– شخص أو شخصان يعيشان هنا ؟

فأومأ هوايتفيلد برأسه وقال :

– نعم .. ففي مثل هـذا المكان يوجد كثير من المنازعات والمشاحنات الصغيرة .

فرد عليه لوك معيقاً :

– نعم .. أظن ذلك ، ثم تردد قليلا وكأنه غير متأكد من خطوته التالية . ثم قال متسائلا :

– أي نوع من الناس يحيون هنا عادة ؟

وكان السؤال ضعيفاً ولكنه حصل على رد سريع من بريدجت :

— بنات وأخوات وزوجات رجال الدين ، وممرضات ، ويوجد رجل بين كل ست من النساء .

فتساءل لوك :

— ولكن لا بد ان يكون هناك بعض الرجال ؟.

— أوه .. نعم .. هناك مستر أبوت المحامي والطبيب الشاب دكتور توماس الذي كان شريكاً لدكتور همبلبي ومستر ويك راعي الكنيسة و .. ومن أيضاً يا جوردون ؟ أوه .. مستر الزويرثي الذي يملك حانوتاً للعاديات وهو رقيق إلى درجة كبيرة ثم الميجور هورتون وكلابه البولدج .

فقال لوك :

— أظن ان أصدقائي ذكروا لي اسم سيدة ظريفة تحيا هنا أيضاً وعلى مـا أذكر قالوا لي انها ثرثارة أيضاً .

فضحكت بريدجت وقالت :

— هذا الوصف ينطبق على نصف نساء القرية .

— ترى ماذا كان اسمها .. نعم .. لقد تذكرت الآن ، بنكرتون .

فضحك لورد هوايتفيلد ضحكة خشنة وقال :

— حقاً .. إن حظك سيء ، لقـد ماتت هي أيضاً ، إذ دهمتها سيارة منذ أيام في لندن فماتت في الحال .

فعقب لوك قائلاً في استخفاف :

— يظهر ان عندكم حالات موت كثيرة هنا .

فقال لورد هوايتفيلد بسرعة :

— كلا مطلقاً .. إن هـــذه القرية من أصح المناطق في انجلترا ولكنك لا يمكنك ان تحسب حساباً للحوادث إذ انها يمكن ان تحدث لأي شخص .

ولكن بريدجت قالت في تفكير :

– الواقع يا جوردن ان عدة حوادث موت وقعت في العام الأخير .

– هراء يا عزيزني .

وهنا قال لوك :

– هل كان موت دكتور همبلبي نتيجة حادثة أيضاً ؟

فهزّ لورد هوايتفيلد رأسه وأجاب :

– أوه .. كلا .. لقد مات همبلبي من تسمم حاد في الدم، إذ خدش ا،
بواسطة مسمار علاه الصدأ او شيء من هذا القبيل ، ولم يعر الأمر اهتماماً ف:
ومات في خلال أيام ثلاثة .

وعقبت بريدجت :

– هكذا حال الأطباء مع أنهم بطبيعة الحال معرضون للعدوى والإ
إذا لم يأخذوا حذرهم ومع ذلك فلقد كان الأمر محزناً إذ تحطم قلب زو-

فقال لورد هوايتفيلد :

– لا فائدة من الثورة ضد القدر .

وهنا ساءل لوك نفسه .. أكان ذلك إرادة القدر ؟ تسمم ؟ ربما .. و
مع ذلك كان موتاً مفاجئاً وتذكر ما قالته بريدجت :

« إن عدة حوادث موت وقعت في العام الأخير » .

الفصل الرابع

لوك يبدأ تحرّياته

كان لوك قد درس خطته في عناية وأعدّ نفسه للبدء فيها بدون توان عندما نزل ليتناول الفطور في اليوم الثاني . ولم تكن العمة الشغوفة بزراعة الحدائق موجودة ، ولكن لورد هوايتفلد كان يتناول الفطور المكوّن من الكلاوي ويرشف قهوة الصباح،بينما كانت بريدجت كونواى قد انتهت من الفطور ووقفت بجوار النافذة تلقي ببصرها إلى الخارج . وبعد تبادل تحيات الصباح جلس لوك وقد وضع أمامه طبق مليء بالبيض والبيكون ثم قال :

– يجب عليّ أن أبدأ في العمل ولكن أصعب شيء هو حمل النـــاس على الكلام .. أنت تعرف ما أعنيه .. الناس الذين ليسوا مثلك أو مثل..بريدجت « إذ تذكر في الوقت المناسب ألا يدعوها باسم مس كونواى » ، فأنت مثلا لو سألتك فستقول لي كل ما تعرفه ولكن المشكلة انك لا تعرف ما أرغب أنا في معرفته عن المعتقدات التي لا تزال راسخة في بعض البقاع النائية من العالم ، فمثلا هناك قرية في مقاطعة ديفونشاير اضطر راعي الكنيسة فيهـا إلى إزالة بعض الأحجار التي كانت بجوار كنيسته ، لأن الناس هناك كانوا يصممون على السير حولهـــا كلما حدثت حالة وفاة في القرية ، إنه لأمر غريب حقاً أن تبقى بعض

العادات البدائية كامنة في قلوب الناس .

فقال لورد هوايتفيلد :

– أعتقد انك على حق .. إن ما يحتاج إليه الناس هو التثقيف .. ترى هل ذكرت لك انني تبرعت هنا بمكتبة رائعة جداً ؟

لقد كانت من قبل منزلاً اشتريته بثمن بخس ، وأصبح الآن من أفضل المكتبات .

وفي حزم أوقف لوك تيار الحديث من التحوّل إلى أعمال لورد هوايتفيلد إذ قال :

– رائع عمل طيب .. لا بد انك تحققت من أصل الجهل المنتشر هنا .. وهذا بطبيعة الحال ما أنشده .. العادات القديمة مثل « الخزعبلات » التقاليد القديمة ..

ثم أتبع ذلك بسرد ما يقرب من صفحة كاملة من كتاب كان قد قرأه من قبل خاصاً بذلك الموضوع وختم كلامه بقوله :

– وتعد حالات الموت أفضل شيء يبدأ به المرء في البحث للوصول إلى ما أبغيه ، لأن تقاليد وعادات الدفن تدوم أكثر من التقاليد والعادات الأخرى ، أضف إلى ذلك أنه لسبب ما يتحدث القرويون عادة عن حالات الموت .

وهنا قالت بريدجت وهي لا تزال بجوار النافذة :

– أوافقك على انهم يستمتعون بالجنازات .

– لقد فكرت في ان أبدأ بالحصول على حوادث الموت الأخيرة في هذه القرية وأعرف من هم أقارب الموتى لأتحدث إليهم ولا شك عندي في أنني سأوفق قريباً في معرفة ما أبغيه .. فمن الذي يمكنه أن يعطيني تلك المعلومات ؟.. القسيس ؟.

فقالت بريدجت :

– من المحتمل أن يهتم مستر ويك كثيراً بهذا الموضوع فهو رجل عجوز

ظريف وأتوقع ان يدلي اليك بكثير من المعلومات .

فقال لوك :

— حسناً .. وأظن انـه ليست لديك فكرة عن الذين ماتوا خلال السنة الأخيرة .

فتمتمت بريدجت قائلة :

— دعني أتذكر .. هناك كارتر بالطبع الذي كان يملك حانة النجوم السبع. تلك الحانة الكريهة القائمة على شاطىء النهر .

وهنا قال لورد هوايتفيلد :

— لقد كان سكـيراً عربيداً وقحاً تخلصنا منه ... وأضافت بريدجت :

— وهناك أيضاً مسز روز وتومي بيرز الصغير ، لقد كان ولداً صغيراً .. وهناك أيضاً تلك الفتاة المدعوة آمي .

وتغير صوت بريدجت قليلاً وهي تنطق بالاسم الأخير ، فسألها لوك :

— آمي ؟.

— آمي جيبز .. لقد كانت خادمة هنا ثم ذهبت عند مس وينفليت وقـد حصل تحقيق في موتها .

— لماذا ؟

فقال لورد هوايتفيلد :

— لأن الفتاة كانت غبية إذ خلطت بين بعض الزجاجات في الظلام .

وأوضحت بريدجت بقولها :

— لقد تناولت محتويات زجاجة بها طلاء للقبعات ، ظناً منها انه شراب للسعال .

فرفع لوك حاجبيه تعجباً وقال :

— يا لها من مأساة ..

فعقبت بريدجت :

– كانت هناك فكرة تقول بأنها ربما تكون قد فعلت ذلك عمداً لخلافها مع أحد الشبان .

قالت ذلك في بطء وكأنها لم تكن تود الإدلاء بذلك .. وعقب ذلك فترة صمت حتى ان لوك شعر بأن في الجو شيئاً وتذكر ان اسم ماري جيبز هو أحد الأسماء التي ذكرتها مس بنكرتون العجوز ، كما انها ذكرت اسم ولد صغير .. تومي .. وان رأيها فيه لم يكن حسناً كرأي بريدجت فيه أيضاً . كما أنه متأكد أيضاً انها ذكرت كذلك اسم كارتر ، ونهض من مقعده وهو يقول بلا اهتمام :

– ان هذا الحديث يجعلني أشعر وكأني أنبش قبور الموتى ... إن تقاليد الزواج تثير الاهتمام أيضاً ولكن من الصعب حمل الناس على الكلام عنها .

فقالت بريدجت :

أظن انك على حق في هذا .

وهنا تساءل لوك :

– أتعرفان شيئاً عن أية إشاعة تنبيء عن تفشي الشر في هذه الأنحاء ؟

فردت بريدجت :

– ليس طبيعياً ان تصل إلى أسماعنا مثل تلك الأشياء .

وهنا قاطعها لوك قائلا :

– لا شك في ذلك ، يجب عليّ ان أتصل بالطبقات الدنيا في المجتمع لأحصل على مـــا أبغيه وسأذهب إلى الأبرشية أولاً لأرى ما يمكنني معرفته هناك وربما أذهب بعد ذلك إلى حانة النجوم السبع .. وماذا عن ذلك الولد الصغير ذي الخصال السيئة ؟ هل ترك من بعده أقارب حزنوا عليه ؟

– ان والدته مسز بيرز تملك حانوتاً لبيع التبغ والورق في هاى ستريت .

– حسناً ، سأذهب الآن .

وفي حركة سريعة غادرت بريدجت مكانها بجوار النافذة وقالت :

– أظن أنني سأذهب معك إن لم يكن لديك مانع من ذلك .

– بالطبع لا .

قال ذلك في حرارة لم يكن يشعر بها حقاً وساءل نفسه عما إذا كانت قد لاحظت أنه سلم بقولها الذي لم يصادف هوى في نفسه ، بينما كان من السهل عليه ان يتجاذب الحديث مع قسيس عجوز وحده دون ان يكون بجواره أي شخص يراقبه على درجة كبيرة من الذكاء ودقة الملاحظة ، واستطرد :

– حسناً ، إن مهمتي تنحصر في ان أؤدي دوري بصورة مقنعة .

وهنا قالت بريدجت :

– لوك هلا انتظرتني قليلاً حتى أستبدل حذائي ؟

وشعر بأن نطقها لاسمه « لوك » مجرداً قد جعله يحس إحساساً حاراً،ولكن ماذا كان يتوقع ان تناديه بغير ذلك ؟ ما دامت قد وافقت على خطة جيمي وترضى بأن تكون أحد أبناء عمومته.. من غير المتوقع ان تدعوه عندئذ مستر فيتز ويليم .. وهنا دار في فكره « ماذا تظن في الأمر كله ؟.. ترى ماذا تظن » ؟.

من الغريب ان ذلك لم يسبب له من قبل أي قلق، فقد كانت ابنة عم جيمي مجرد شخص لم يعن بتصوره واكتفى بقول صديقه « ان بريدجت ستكون على ما ترجوه » .. ولقد كان يتصورها فتاة شقراء لها هيئة السكرتيرات ، جميلة إلى درجة تكفي لاصطياد رجل غني ، وبدلاً من ذلك وجدها ذات شخصية قوية وذكاء نافذ وعقل راجح ، أضف إلى ذلك أنه لم يكن لديه أية فكرة عما تظنه عنه ، ودار في فكره انها ليست بالفتاة التي يسهل خداعها . وأفاق من تفكيره على صوتها وهي تقول :

– أنا مستعدة الآن .

كانت قد اقتربت منه في خفة حتى أنه لم يحس باقترابها ، وكانت لا ترتدي قبعة ولا توجد شبكة فوق شعرها ، وعندما خرجا من المنزل أحسا بالرياح التي دفعت بشعرها حتى أحاط بوجهها فقالت بريدجت وهي تبتسم :

– أنت في حاجة إليّ لأريك الطريق .
فأجابها :
– هذا عطف كبير منك .
وساءل نفسه عما إذا كان قد لحظ حقاً بسمة ساخرة عابرة ، ثم أدار بصره إلى البناء الشامخ الذي تركاه وقال في غضب مكبوت :
– يا له من بناء كريه .. ألم يكن في مقدور أحد إيقافه :
فأجابته بريدجت :
– إن الرجل الانجليزي يعد منزله قلعة له، وهكذا الحال في حالة جوردون انه يكاد يعبد هذا المنزل .
وشعر بأن ملاحظته تدل على عدم الذوق ولكنه لم يكن قادراً على التحكم في لسانه فقال :
– أليس هذا منزلك القديم ؟ هل « تعبدين » ما ترينه الآن ؟
هنا نظرت إليه وهي تبتسم في سرور خفي ثم تمتمت :
– إنني أكره أن أحطم الصورة التي بدأت برسمهـــا في مخيلتك ، ولكن الواقع انني غادرت هذا المنزل وأنا في الثانية والنصف من عمري ، وهكذا ترى ان تأثير المنزل القديم الذي كان لي لا ينطبق عليّ، بل انني لا أتذكر عنه أي شيء .
فقال لوك :
– أنت على حق فمعذرة .
وهنا ضحكت بريدجت وقالت :
– نادراً ما تكون الحقيقة غنية بالعواطف .
قالت ذلك وفي صوتها سخرية مريرة أذهلته ، وشعر بوجهه يحمر خجلاً ثم أدرك ان تلك المرارة لم تكن موجهة اليه .. لقد كانت سخريتها هي ومرارتها هي .. وصمت لوك .. ولكنه زاد عجباً من بريدجت كونواى .. وبعد مسيرة

خمس دقائق وصلا إلى الكنيسة والأبرشية المجاورة لها ووجدا القس في مكتبه. وكان مستر ويك رجلاً قليل الجسم عجوزاً محني الظهر ذا عينين زرقاوين شارد الفكر ، وظهر أنه قد سر من الزيارة غير أنه كان في دهشة منها .

وهنا قالت بريدجت :

— ان مستر فيتز ويليم ينزل عندنا في آسن مانور وهو يريد استشارتك بشأن كتاب يقوم بكتابته .

وأدار مستر ويك نظره نحو الرجل الأصغر منه مستفسراً ، وهنا قام لوك بالايضاح عن موضوعه وكان في حالة عصبية لسببين : الأول منهما ان المستمع اليه أعلم منه بالمعتقدات الشعبية والتقاليد أكثر مما يمكن لقارىء عابر الحصول عليه من بعض الكتب، والسبب الثاني ان بريدجت كونواي كانت بجانبه تستمع اليه ، وشعر لوك بالراحة النفسية عندما وجد ان اهتمام مستر ويك ينحصر في الآثار الرومانية بعد أن اعترف في رقة بأنه لا يعرف إلا القليل عن المعتقدات القديمة والسحر ، ثم ذكر بعض أشياء تتعلق بتاريخ ويتشوود وأبدى استعداده لأن يصحب لوك إلى قمة التل المجاور إلى بقعة تسمى « مجمع السحرة » حيث يقال ان السحرة كانوا يجتمعون في أيامهم المقدسة هناك ، ثم أبدى أسفه لأنه ليس لديه أية معلومات اضافية يمكن ان يدلي بها. ولو أن لوك شعر بالراحة في قرارة نفسه إلا أنه أظهر استياءه لقلة المعلومات التي حصل عليها ، ولذا بدأ يوجّه إلى القس بعض الأسئلة عن المعتقدات المتعلقة بالموت ، وهنا هزّ مستر ويك رأسه في رقة وقال :

— أظن أنني آخر شخص يمكنه ان يعلم شيئاً عن ذلك فإن المترددين على كنيستي لا بد ان يبذلوا كل جهدهم حتى لا تصل إلى أذناي أية كلمة تتعارض مع الدين ..

— طبعاً ..

— ومع ذلك فإنه لا يوجد لديّ شك في بقاء كثير من المعتقدات ، لأن هذه

المجتمعات القروية لا تزال متأخرة جداً .

وهنا قال لوك :

— لقد سألت مس كونواى عما إذا كانت تتذكر أسماء الذين ماتوا هنا حديثاً ظناً مني أن أتوصل إلى شيء عن ذلك الطريق ، وأعتقد انك ربما تكون قادراً على إعطائي قائمة بالأسماء حتى يمكنني أن أختار من بينها ما أظنه قد يفيدني في تحرياتي .

— نعم .. نعم .. هـذا أمر ممكن .. دعني أتذكر .. لقد حدثت وفيات عديدة .. لا بد أن مرجعها ذلك الطقس الغادر والشتاء القاسي .. ثم الكثير من الحوادث التي لا بد انها بمثابة نوبة من سوء الحظ .

فقال لوك :

— أحياناً يقال أن نوبة سوء الحظ يكون السبب فيها وجود شخص معين .

— نعم .. نعم .. ولكني لا أظن أن غرباء قد حلوا هنا ، أعني شخصاً أو أشخاصاً غير عاديين ، كما انني بالتأكيد لم أسمع شيئاً مثل هذا .. ولكني أعود فأقول انني ما كنت لأسمع مثل تلك الشائعات ، والآن دعني أتذكر .. فمنذ وقت قريب جداً مات دكتور همبلي والمسكينة لافينيا بينكرتون ، كان دكتور همبلي رجلاً طيباً .

فقاطعته بريدجت ؟

— يعرف مستر فيتز ويليم أصدقاء له .

— أتعرف أصدقاء حقاً ؟. هذا أمر مؤسف جداً ، سيفتقده الكثيرون .. لقد كان له أصدقاء كثيرون .

فقال لوك :

— وكان له أيضاً أعداء ، ثم أضاف في سرعة :

— أنا أردد ما قاله لي أصدقائي .

فتنهد مستر ويك وقال :

– لقد كان رجلاً يقول ما يدور في خاطره ، ولم يكن دائماً بالرجل اللبق ، وهذا ما يسبّب تبرماً عند بعض الناس ، ولكنه كان محبوباً جداً من الأوساط الفقيرة . .

فقال لوك في عدم اهتمام :

– هل تعلم أنني أشعر ان الواقع الذي لا يمكن هضمه هو ان وراء كل موت يحدث نفع لشخص ما ، ولا أعني بذلك النفع المادي وحده .

فأومأ القس برأسه في تفكير وقال :

– أعرف ما تعنيه فنحن نقرأ في نعي شخص ما أن الجميع يأسفون على موته ولكني أظن أن ذلك حق في حالات قليـــلة نادرة وفي حالة المسكين دكتور همبلبي لا يمكن أن ننكر أن شريكه دكتور توماس لا بد أن مركزه سيتحسن كثيراً بعد موت دكتور همبلبي .

– كيف ذلك ؟

– في اعتقادي ان دكتور توماس طبيب قـدير ومن المؤكد ان همبلبي كان يقول ذلك دائماً ولكنه لم يلقَ نجاحاً طيباً هنـا وأظن ان دكتور همبلبي الذى كان يتمتع بجـــاذبية مؤكدة ، كان ألمع منه وخاصة ان توماس لم يكن له اي تأثير نفسي على مرضاه وأظن ان ذلك كان يسبب له قلقاً وهذا ما جعله في حالة أسوأ مما كان يجب ان يكون عليه إذ أصبح أكثر اضطراباً وأقل حديثاً والواقع انني شاهدت تبدلاً يثير الدهشة بعد موت همبلبي فقد أصبح توماس أكثر ثقة بنفسه وأصبح ذا شخصية أخرى ، ولم يكن هو وهمبلبي دائماً على اتفاق كما أعتقد فقـد كان توماس من أشد المؤيدين لطرق العلاج الحديثة بينما كان همبلبي يفضل التمسك بالطرق القديمة ، ودارت مشاحنات بين الاثنين .. أكثر من مرة .. في هذا الموضوع وغيره مما يعد من المسائل الشخصية .. ولكنني لست بالرجل الذى يردد الشائعات .

فقالت بريدجت في رقة ووضوح :

– ولكنني أظن ان المستر فيتز ويليم يحب ان يسمعك تردد تلك الشائعات.

وهنا نظر اليها لوك نظرة سريعة مرتبكة ، وهز مستر ويك رأسه في شك ثم مضى يقول :

– أخشى ان أقول ان المرء يشعر باهتمام شديد فيما يتعلق بشؤون جيرانه .. ان روز همبلبي فتاة جميلة جداً ، ولذا لا يعجب المرء إذا عرف جيوفرى توماس شغفه حبها وبالطبع يقدر المرء وجهة نظر همبلبي من ان الفتـاة لا تزال صغيرة السن وانها شبه مقبورة هنا ، ولم تسنح لها فرصة الاختلاط بأحد ورؤية شبان آخرين .

فقال لوك :

– هل أعترض ؟

– بكل تأكيد .. وقال انهما ما زالا صغيرين جداً .. وبطبيعة الحال فإن الشباب يمتعض إذا قيل له ذلك ، وكان من الواضح وجود برود بين كل من الرجلين ، ولكن يجب ان أقول انني متأكد من ان الدكتور توماس تأثر تأثراً عميقاً بالغاً لوفاة شريكه .

– قال لي لورد هوايتفيلد انه مات متأثراً بتسمم الدم .

– نعم .. مجرد خدش أصيب بتلوث .. إن الأطبـــاء يا مستر فيتز ويليم يتعرضون لأخطار جسيمة أثناء تأديتهم واجباتهم .

فقال لوك :

– هذا حقيقي .

– ولكنني أرى أنني ابتعدت في حديثي عما كنا نتناقش فيه ، وأظن انني لست سوى رجل عجوز ثرثار .. لقـــد كنا نتحدث عن بقاء العادات المرتبطة بالموت وحوادث الموت التي وقعت منذ وقت قريب .. اليك مثلاً تلك لافينيا بينكرتون التي أدّت خدمات للكنيسة ، واليك مثلاً تلك الفتاة المسكينة آمي جيبز التي قد يكون في موتها شيء مما تبحث عنه يا مستر فيتز ويليم ، فأنت

تعلم انه كان هناك شك في ان الموت قد يكون انتحاراً ، وهناك عمة لها محترمة جداً ولكنها لم تكن على صلة قوية بابنة أخيها ، وهذه العمة ثرثارة كبيرة .. ثم هناك تومي بيرز الذى كان ينشد في الكنيسة وهو يتمتع بصوت ملائكي ، ولكنه للأسف لم يكن ملائكياً فيما عدا ذلك حتى اننا اضطررنا للتخلص منه في نهاية الأمر ، لأنه أثر على الأولاد الآخرين فجعلهم يتصرفون تصرفات رديئة .. يا للمسكين.. أظن انه لم يكن محبوباً من أحد .. إذ انه فصل من مكتب البريد والتلغراف حيث كان يعمل ساعياً ، ثم عمل بعد ذلك في مكتب مستر آبوت ولكنه فصل أيضاً بعد فترة قصيرة ، وأظن ان السبب كان يرجع إلى انه اطلع على بعض المكاتبات الشخصية .. ثم عمل بعـــد ذلك في آسن مانور كمساعد للبستاني .. أليس كذلك يا مس كونواى ؟ واضطر لورد هوايتفيلد إلى فصله لوقاحته الزائدة، لقد شعرت بالأسى الشديد نحو والدته التي تمتاز بالدعة وتكدح في سبيل عيشها ولكن مس وينفليت كانت طيبـــة القلب وعينته في وظيفة منظف لزجاج النوافذ ، وقـد اعترض لورد هوايتفيلد على ذلك في أول الأمر ، ولكنه تراجع فجأة .. ومن دواعي الأسى انه فعل ذلك .

– لماذا ؟

– لأن الصبي قتل بسبب ذلك ، إذ كان ينظف النـــافذة العليا في مبنى المكتبة وقام بمحاولة عمل حركات طائشة .. مثل الرقص على حافة النافذة أو شيء من هذا القبيل ، فقدَ توازنه أو أصابه الدوار فوقع ، وأُصيب إصابة خطيرة ولم يسترد وعيه حتى مات بعد وصوله إلى المستشفى بساعات قلائل .

فسأل لوك في اهتمام :

– هل رآه أحد وهو يسقط ؟

– كلا ، إذ كان في الناحية التي تطل على الحديقة وليس في الناحية التي تطل على واجهة الدار ، وقيل انه مرّ عليه ما يقرب من نصف ساعة وهو ملقى قبل ان يكتشفه أحد .

– مَن الذي لقيه ؟

– مس بنكرتون .. السيدة التي ذكرتها لك الآن وقلت انها قتلت لسوء الحظ في حادثة منذ أيام ، يا للمسكينة .. لقد كانت في حالة نفسية سيئـة .. كانت قد أخذت تصريحاً بقطع بعض النباتات من الحديقة ووجدت الصبي ملقى حيث سقط .

فقال لوك في تفكير :

– لا بد انها كانت صدمة غير سارة لها .

– حياة في مقتبل العمر تنتهي فجأة انه لأمر يبعث على الحزن حقاً ، وقـد تكون الأخطاء التي كان تومي يرتكبها راجعة إلى حيوية كبيرة .

فقالت بريدجت :

– لقد كان شرساً إلى حد كريه وأنت تعلم ذلك يا مستر ويك فقد كان يعذب الكلاب والقطط الضالة ويضرب الأولاد الصغار .

فهز مستر ويك رأسه في حزن وقال :

– أعلم ذلك ولكنك تعلمين يا مس كونواى ان القسوة أحيـــاناً يكون مرجعها إلى بطء نمو المخيلة ، ولذا فإن الرجل إذا كانت عقليته لم تنضج بل بقيت مثل عقلية طفل فإن القسوة التي يبديها في حالة جنون لا يمكن لرجل عادي القيام بها ، وان على المرء دائماً ان يبتعد عن الأمور الصبيانية ... ثم هز رأسه ومد يديه في حركة تدل على الاستسلام .

وهنا قالت بريدجت فجأة في صوت أجش :

– نعم .. أنت محق فيما تقول .. إن الرجل الذى له عقلية طفل هو أشد ما يخيف في العالم .

ونظر اليها لوك بشيء من الفضول ، انها تعني بذلك شخصاً معيناً ولو ان لورد هوايتفيلد كان في كثير من تصرفاته يشبه الأولاد ، إلا أنه كان متأكداً انها لم تكن تفكر فيه فإن لورد هوايتفيلد كان غريباً بعض الشيء ولكنه بالتأكيد لم يكن مخيفاً إلى هذا الحد .

وزاد عجب لوك فيتز ويليم كثيراً فيمن تفكر فيه بريدجت .

الفصل الخامس

زيارة إلى مس وينفليت

ومضى مستر ويك يردد بضعة أسماء محدثاً نفسه قائلا :

« دعني أتذكر .. المسكينة مسز روز وبل العجوز وطفل أسرة الكينز وهاري كارتر .. كل هؤلاء لم يكونوا في كنيستي كما تعلم .. ثم إن نوبة البرد التي جاءت في شهر مارس قضت على حيـــاة بن ستانيورى العجوز ذي الاثنين والتسعين عاماً » .

فقالت بريدجت :

— وماتت آمي جيبز في شهر ابريل .

— نعم ، يا للفتاة المسكينة .. إنها غلطة مؤسفة .

ورفع لوك نظره ليجد بريدجت ترقبه ، فلمـا التقى بصره ببصرها خفضت من ناظريها بسرعة .. وفكر في ضيق :

« هناك شيء لا أعلمه بعد .. شيء يتعلق بتلك الفتاة آمي جيبز » .

وعندما استأذنا من القس في الانصراف وأصبحا في الخارج قال :

— مَن هي هذه الفتاة آمي جيبز ؟

ومضت دقيقتان قبل أن تجيب بريدجت ، ثم قالت بصوت لاحظ لوك فيه التحفظ :

— لقد كانت آمي واحدة من أكثر الخادمات تكاسلا وعدم كفاية .

— ألهذا السبب فصلت من عملها ؟

— كلا ، لقـــد كانت تتأخر في الخارج عن المواعيد المحددة في صحبة أحد الشبان ، وجوردون رجل متمسك جداً بالأخلاق ووجهات النظر القديمة ، ومع ذلك فقد أنذر الفتاة ولكنها ردّت على الإنذار بوقاحة :

فسألها لوك :

— هل كانت جميلة ؟

— جميلة جداً .

— هل هي الفتـــاة التي شربت طلاء القبعات خطأ ، ظناً منها أنه شراب ضد السعال ؟

— نعم .

— أليس ذلك عمل يدلُّ على الغباء ؟

— غباء شديد .

— هل كانت غبية ؟

— كلا ، لقد كانت في غاية من الذكاء .

واختلس لوك نظرة اليها .. كان في حيرة من أمرهـــا ، إذ كانت إجاباتها في نبرة واحدة بدون أي انفعال أو اهتمام، بينما تأكد أن وراء إجاباتها ما لم تفصح عنه الكلمات . وفي هذه اللحظة وقفت بريدجت لتتحدث إلى رجل طويل رفع لها قبعته وحيّاها في حرارة ، وبعد كلمتين قدمت برجت لوك إلى الرجل قائلة:

— هذا أحد أبناء عمومتي مستر فيتز ويليم ، وهو يقيم عندنا في آسن مانور ، وقد حضر ليؤلف كتاباً .. هذا مستر آبوت .

ونظر لوك إلى مستر آبوت ببعض الاهتمام.. إذن هذا هو المحامي الذي ألحق

تومي بيرز بخدمته. وكان لوك يشعر بتحامل لا أساس له من المنطق ضد المحامين عامة ، وإن كان مبنياً في الأصل على أساس أن الكثير من الساسة قد جاؤوا من زمرة المحامين ، وأيضاً لأنهم دائماً على حذر فلا يعطون إجابات صريحة واضحة ، وكان ذلك يسبب ضيقاً له ، ومع ذلك فإن مستر آبوت لم يكن يشبه الصورة التي يرسمها المرء للمحامين ، فهو لم يكن نحيفاً ولا معقود اللسان ، بل كان رجلاً ضخماً ذا طابع مرح ، وكانت هناك تجاعيد صغيرة في جوانب عينيه اللتين كانتا تدلان على ذكاء أكثر مما يتضح للناظر اليهما المرة الاولى .

ـ تؤلف كتاباً ؟ قصة ؟..

فأجابت بريدجت :

ـ عن المعتقدات .

فقال المحامي :

ـ لقد حضرت إذن إلى المكان المناسب ، فهنا كثير مما يثير الاهتمام .

فقال لوك :

ـ هكذا قيل لي ، وربما كان في مقدورك مساعدتي بعض الشيء ، إذ أنك ربما مرّت بك أعمال غريبة أو على علم بعادات لا زالت تمارس وهي مدعاة للاهتمام .

ـ حسناً ، لا أعلم شيئاً عن ذلك .. ربما .. ربما .

فسأله لوك :

ـ هل هناك كثيرون يعتقدون في الأشباح ؟

ـ حقاً لا يمكنني أن أبتّ برأي في هذا الشأن .

ـ ألا توجد منازل مسكونة بالأشباح ؟

ـ لا أعرف شيئاً من هذا القبيل .

فقال لوك :

ـ هناك أيضاً المعتقدات التي تتصل بموت طفل .. أعني موت الطفل في

حادث مفاجىء ، إذ يقـال ان شبح الطفل يحوم سائراً حول مكان مصرعه .. ويقال ان ذلك لا يحدث إذا كان الميت طفلة .. إنه أمر يدعو للاهتمام .

فقال مستر آبوت :

– نعم ، وأنا لم أسمع عن ذلك من قبل .

ولم يكن هناك ما يدعو للدهشة في ذلك ، إذ أن لوك كان قد ابتدع لتوّه ما ذكره عن موت الأطفال .. وقال لوك :

– يظهر أنه كان فيالقرية صبي يدعى تومي وكان يعمل في مكتبك يوماً ما ، وأعتقد أن بعض الأهالي يظنون أن شبحه يسير .

وزاد احمرار وجه مستر آبوت وقال :

– أتعني تومي بيرز ؟ إنه كان صبياً لا يصلح لشيء ، يتجسس على الغير .

– يظهر أن الأرواح عادة تكون شرّيرة ، وقليلاً ما تقوم أرواح المواطنين الصالحين بزيارة عالمنا هذا بعد أن تفارق الروح الجسد .

– ما هذا الذي تقوله ؟ مَن الذي رأى شبحه ؟

فقال لوك :

– في العـادة يصعب تحديد مصدر هذه الأقوال ، إذ يرفض الناس أن يدلوا بأقوالهم في صراحة ، ومع ذلك فإن الجو مليء بتلك الشائعة .

– نعم ، نعم .. أظن أنك على حق .

وقام لوك بتغيير مجرى الحديث فقال :

– أظن أن أفضل مصدر لاستسقاء المعـلومات هو الطبيب المحلي ، إذ لا بد أنه يستمع إلى الكثير في الحالات التي يقوم بعلاجها ، وخاصة بين أبنـاء الطبقة الفقيرة .. وهناك يستمع إلى المعتقدات والطلاسم ، ومن المحتمل أيضاً أن يسمع عن شراب الحب وغير ذلك من الخزعبلات .

– في هـــذه الحالة عليك بالدكتور توماس ، وهو رجل طيب دقيق يتبع أحدث طرق العلاج ، بعكس المسكين الدكتور همبلي .

ـ أظن أن الأخير كان رجلاً رجعياً ؟
ـ لقد كان رجلاً غبياً عنيداً من أسوإ طراز .

فسألته بريدجت :

ـ ألم تحدث بينكما مشاحنة كبيرة بخصوص مشروع المياه ؟

ومرة اخرى احمرّ وجه مستر آبوت وقال في حدّة :

ـ لقد كان همبلي يقف في وجه التقدم وقد عارض المشروع ، كما أنه كان فظاً أيضاً في أقواله ولم ينمق كلماته ، حتى أن بعض ما قــــاله لي كان يعاقب عليه قانوناً .

فتمتمت بريدجت :

ـ ولكن المحامين لا يلجأون قط إلى القانون ، أليس كذلك ؟

وهنا ضحك آبوت بحرارة وزال الغضب الذي كان يشعر به بنفس السرعة التي أثارته من قبل .

ـ أنت تقولين الحقيقـــة يا مس بريدجت ، فنحن الذين نحيا وسط القانون نعرف الشيء الكثير عنه .. ها .. ها .. حسناً لقد حان لي أن أذهب في طريقي ، وأرجو أن تتصل بي إذا عنّ لك أي سؤال يا مستر .

فقال لوك :

ـ فيتز وليم ، أشكرك ، سأفعل ذلك .

وسار لوك مع بريدجت التي قالت :

ـ لقـــد لاحظت أنك تستخدم طريقة الإدلاء بتصريحات ثم تراقب وقعها على السامع .

فقال لوك :

ـ إنك تعنين بذلك أن طريقتي لا تتميز بالصدق الكامل .

ـ لقد لاحظت ذلك .

وشعر بقليل من الارتباك وتردّد فيما ينطق به بعـد ذلك ، ولكنه قبل أن

ينطق حرفاً سمعها تقول :

ــ إذا أردت أن تعرف أكثر ممـا عرفت عن آمي جيبز ، فإن بإمكاني أن أقودك إلى شخص يمكنه مساعدتك .

ــ ومَن هو ذلك الشخص ؟

ــ مس وينفليت .. إذ ذهبت آمي اليها بعـــد أن غادرت آسن مانور .. وكانت عندها عندما ماتت .

وأخذ لوك بما صرحت به بريدجت وقال :

ــ حسناً ، أشكرك جداً .

ــ إنها تقيم على مقربة من هنا .

كانا وقتذاك يخترقان حديقـــة القرية عندما أومأت بريدجت برأسها ناحية المنزل الكبير الذي رآه لوك في اليوم الأسبق ، وقالت :

ــ هذا هو « ويشر هول » وهو الآن مكتبة .

وبجوار المنزل كان هناك بيت صغير درجاته ناصعة البياض ، كما أن الستائر المسدلة على نوافذه كانت بيضاء نظيفة أيضاً .

ودفعت بريدجت بوّابة الحديقـــة بيدها وتقدمت نحو درجات المنزل ، وعندئذٍ فُتح الباب وخرجت منه سيدة عجوز أوحى منظرها إلى لوك ما يتخيله عن عانس قروية ، وكانت ترتدي ملابس نظيفة أنيقـــة كما ان قبعتها كانت ترتكز على رأسها في استقامة ، وكان وجهها سمحاً وكانت عيناها تدلان ، من خلف النظارات ، على ذكاء .. وأوحى منظرها إلى لوك منظر الأغنام اليونانية السوداء اللون ، وبان في عينيها الدهشة والعجب .

وقالت بريدجت :

ــ صباح الخير يا مس وينفليت .. هــذا هو مستر فيتز ويليم ، وهو يكتب كتاباً عن عادات القرويين والموت وغير ذلك من الأشياء المرعبة .

فقالت مس وينفليت :

– اوه .. إنه أمر مثير جداً . ثم ابتسمت له ابتسامة تشجيع .
وهنا تذكـّر لوك مس بينكرتون .. وقالت بريدجت بصوت رتيب :
– لقد فكرت انه ربما كان لديك شيء تقولينه عن آمي .
فقالت مس وينفليت :
– اوه .. عن آمي ؟.. نعم ، آمي جيبز .
وشعر لوك بعـامل جديد أثر على ملامحها ، وكانت تتفحصه في عقلها ، ثم رآها تعود إلى داخل المنزل وكأنها قد وصلت إلى قرار ، وقالت :
– تفضلا بالدخول ، ويمكنني ان أخرج فيما بعد إذ انه لا يوجد ما يدعو إلى العجلة ، فكل ما كنت سأفعله هو شراء بعض الحاجيات المنزلية .
وكانت غرفة الجلوس رتيبـة ونظيفة تفوح منها رائحة اللافندر ، وكانت هناك بعض اللوحات المرسومة على الحائط بالإضافة إلى صور الأقارب . وبعـد أن جلس الجميع قالت مس وينفليت في لهجة اعتذار :
– يؤسفني انني لا ادخن ، ولذا ليس في مقدوري أن اقدم سجائر لكما ، ولكني أرجوكما أن تدخنا إذا أردتما ذلك .
ورفض لوك ، ولكن بريدجت أخرجت سيجارة وأشعلتها .
وجلست مس وينفليت في استقامة على مقعدها ومضت تتفحص ضيفها برهة ثم خفضت من بصرها وكأنها قد رضيت عما رأته ثم قالت :
– أتريد ان تعرف شيئاً عن تلك المسكينة ماري ؟ لقـد كان الأمر كله محزناً جداً وسبّب لي تعاسة شديدة ، والسبب هو خطأ فادح .
فسألها لوك :
– ألم يكن هناك ما يدعو للظن بأن الأمر لا يعدو انتحاراً ؟
فهزّت مس وينفليت رأسها وقالت :
– كلا .. كلا .. لا أظن ذلك أبداً ، فلم تكن آمي من ذلك الطراز .
فسألها لوك :

– إذن أي طراز كانت ؟ أود ان أسمع رأيك فيها .

فقالت مس وينفليت :

– حسناً .. بالطبع لم تكن قط خادمة جيدة ، ولكن على المرء ان يكون شاكراً للحصول على أي خادم .. لقد كانت مهملة جداً في عملهـا وكانت دائماً تحب الخروج .. حسناً .. لقد كانت صغيرة السن والفتيات في وقتنا هذا على ذلك الحال .. ولا يقدرن ان وقتهن ليس ملكاً لهن بل ملك لمخدوميهن .

وكان لوك وهو يستمع اليها يظهر بمظهر المدرك المشفق عليها ، ومضت مس وينفليت تقول :

– لم تكن من ذلك الطراز الذي اهتم به بل كانت من الطراز الجريء ولا أحب أن أذكر الشيء الكثير الآن – وخاصة بعـد موتها – إذ ان المرء يشعر انه بذلك إنما يفعل شيئاً لا يتفق والدين ، بيد انني في الحقيقة أظن ذلك ليس سبباً وجيهاً لإخفاء الحقيقة .فأومأ لوك برأسه وتحقق له ان مس وينفليت تختلف عن مس بنكرتون في أنها تتمتع بعقل منطقي أكثر منها . ومضت في قولها :

– كانت تحب الإطراء وكانت مفترّة بنفسها ، فمثلاً مستر الزورثي الذي يملك حانوت العاديات الجديد وهو رجل جنتلمان يعرف الرسم نوعاً بالألوان المائية قد رسم صورة أو صورتين لوجه الفتاة ، وأظن ان ذلك قـــد وضع في رأسها أفكاراً جديدة وكانت تميل إلى الشجار مع الشاب المخطوبة له وهو جيم هارفي ويعمل ميكانيكياً في إحدى حظائر السيارات وهو يحبها جداً،وتوقفت مس وينفليت لحظة ثم عادت تقول :

– لن أنسى تلك الليلة الكريهة فقد كانت آمي متوعكة بعض الشيء ، إذ كانت تسعل بشدة وكانت قد ذهبت لزيارة الطبيب عصر ذلك اليوم .

فسألها لوك بسرعة :

– دكتور همبلبي أم دكتور توماس ؟.

– دكتور توماس .. وأعطاها زجاجة الشراب ضد السعال التي أحضرتها

معها وتوجهت إلى فراشها في وقت مبكر ، وأظن ان الساعة كانت الواحدة بعد منتصف الليل عنـــدما بدأت الضجة ..صرخة مكتومة مفزعة .. فقمت وتوجهت إلى بابهـا ولكنه كان مغلقاً من الداخل ، وناديتها ولكنني لم أحظَ برد ، وكانت الطباخة معي وكانت كلتانا مضطربة جداً.. ثم ذهبت إلىالباب الأمامي ، ولحسن الحظ كان هناك الكونستابل ريد وهو يمر في نوبتـه فناديناه فذهب إلى الجزء الخلفي من المنزل وتمكن من تسلق السطح ، ولما وجد نافذتهـا مفتوحة أصبح سهلاً عليه الدخول وفتح الباب .. يا للفتاة المسكينة .. كانت في حالة سيئة حيث انهم لم يتمكنوا من عمل أي شيء لها وماتت في المستشفى بعد وصولها اليه بساعات قلائل .

ـ أكان ما شربته طلاء قبعات ؟

ـ نعم ، قيل ان التسمم ناتج من حامض الأوكساليك وكانت الزجاجة في حجم زجاجة شراب السعال تقريباً التي كانت موضوعة على الرف ، بينما وجدت زجاجة طلاء القبعات بجوار فراشها ، ولا بد انها تناولت تلك الزجاجة بطريق الخطأ ووضعتها بجوارها في الظلام وذلك استعداداً لأن تتناول منها جرعة إذا شعرت بالحاجة إلى ذلك وهذه هي النظرية التي وصل اليها التحقيق .

وتوقفت مس وينفليت ومضت عيناها اللتان تشبهان عين الماعز تنظران إلى لوك الذي شعر ان وراء تلك النظرة شيئاً خفياً وشعر أن في قصتها شيئاً لم يذكر بعد وشعوراً أقوى من ذلك بأنها تود أن يكون على علم بذلك ، وسادت فترة صمت .. صمت طويل ، وشعر لوك أنه كالممثل الذي لا يعرف دوره فقـــال في تردد :

ـ وأنت ألا تظنين ان الأمر كان مجرد انتحار ؟

فقالت مس وينفليت فوراً :

ـ كلا بالطبع .. لأنها إذا كانت قد اعتزمت على الانتحار لكانت اشترت شيئاً لذلك وخاصةان تلك الزجاجة قديمة ولا بد انها كانت عندها منذ سنوات

وعلى كل حال قلت لك انها لم تكن من ذلك الطراز .

فسألها لوك :

- إذن ماذا تظنين ؟

- أظن ان الأمر حادث يؤسف له .

وفي اللحظة التي شعر فيها لوك ان عليه بذل مجهود يائس حدث شيء حول مجرى الحديث ، ولم يكن ذلك الشيء إلا صوت خربشة على الباب ومواء قط في الخارج ، فانتصبت مس وينفليت واقفة وأسرعت تفتح الباب ليدخل منه قط فارسي رائع ، ونظر إلى لوك ثم قفز ليستكن فوق ذراع مس وينفليت التي خاطبته في صوت مدلل :

- وونكي بو .. أين كنت يا وونكي طوال الصباح ؟

وتذكر لوك أنه سمع ذلك الاسم من قبل ولكن أين ؟

- هذا قط فارسي جميل ، هل مضى عليه وقت طويل عندك ؟

فهزّت مس وينفليت رأسها وقالت :

- كلا .. لقد كانت تملكه صديقة لي اسمها مس بينكرتون ، دهمتها سيارة ولم أكن لأسمح لوونكي بو بالذهاب إلى أشخاص غرباء إذ أن ذلك كان لا يرضي لافينيا إذ أنها كانت تحبه حباً جماً ، أليس قطاً ؟

وأبدى لوك إعجابه بالقط ثم قامت بريدجت وقالت :

- علينا أن نذهب .

وصافحت مس وينفليت لوك وقالت :

- ربما أراك عما قريب .

فردّ عليها لوك قائلاً :

- أرجو ذلك بل أنا متأكد من ذلك .

وظن لوك أن نظرة حيرة وعدم رضاء مرت بها وحولت بصرها إلى بريدجت في نظرة سريعة متسائلة ، وخيّل إلى لوك أن هناك نوع من التفاهم بين الاثنتين

وضايقه ذلك ولكنه آلى على نفسه أن يصل إلى قرار الموضوع . وخرجت مس وينفليت معها ووقف على الدرجة العليا ونظر إلى ما حوله في إعجاب وقال :

– إن هذا المكان رائع لأنه على حالته الطبيعية .

وأضاء وجه مس وينفليت وقالت في حماس :

– نعم .. حقاً .. انه على حالته التي أذكره عليها عندما كنت طفلة ، فكما تعلم كنا نقطن وقتذاك في الـ « هول » ، ولكن أخي لم يكن يهتم بالسكنى فيه والحقيقـة انه لم يكن في مقدوره ان يفعل ذلك ، ولذلك عرض للبيع وكان هناك مقاول عرض ثمناً طيباً له وكان يزمع إنشاء وحدات سكنية فيه، ولحسن الحظ تدخل لورد هوايتفيلد واشترى العقار وحوّل المنزل إلى متحف ومكتبة ولم يمس المنزل .. وأنا أعمل مرتين في الأسبوع كأمينة للمكتبة ، وبالطبع لا أتقاضى أجر على ذلك ، ولا يمكنني أن أصف لك مقدار السرور الذي أشعر به وأنا داخل ذلك المنزل القديم وخاصة أني أعرف أنه لم يمس ولا بد أن تحضر يوماً لزيارة المتحف يا مستر فيتز ويليم .

– بالطبع لا بد ان أفعل ذلك يا مس وينفليت .

– لقد كان لورد هوايتفيلد رجلاً كريماً سخياً على ويتشوود ويحزنني أن يوجد أناس لا يقدرون الجميل .

ولم يعقب لوك على ذلك وودعها مرة أخرى ، وعندما صار الاثنان خارج المنزل قالت بريدجت :

– هل تريد المضي في تحرياتك أم تفضل العودة إلى المنزل عن طريق النهر ؟

فرد لوك بسرعة أنه يفضل العودة إلى المنزل لأنه لم يرَ فـــائدة من متابعة أبحاثه وبجواره بريدجت كونواي تستمع إلى كل كلمة .. وسار الاثنان في هاي ستريت، وفي أحد المنازل التي في نهاية الطريق شاهد لافتة مكتوبة بخط ذهبي قـــديم مكتوب عليها « عاديات » ، فتوقف لوك ونظر إلى الداخل من زجاج إحدى النوافذ :

– أرى طبقاً جميلاً هنا يصلح لأن أهديه إلى عمتي .. ترى كم يكون ثمنه ؟
– هل ندخل ونرى ؟
– ألا تعارضين ؟ إنني احب التنقيب في حوانيت العـــاديات ، إذ ان المرء يحظى أحياناً بصفقات طيبة .
فقالت بريدجت في جفاف :
– أشك في ذلك هنا ، لأن الزورثي يعرف جيداً القيمة الحقيقية لكل شيء عنده ..
وكان الباب مفتوحاً وفي الداخل حجرتان مليئتان بأشياء مختلفـة . وتوجه لوك إلى الغرفة اليسرى ورفع الطبق ، وفي نفس اللحظة قدم شخص من نهـاية الغرفة وقال :
– آه يا مس كونواي ، إنني مسرور لرؤيتك .
– أسعدت صباحاً يا مستر الزورثي .
وكان مستر الزورثي شاباً يرتدي بذلة زاهيـــة اللون ، وكان وجهه طويلاً شاحباً ذا فم كفم النساء وشعر طويل .
وقامت بريدجت بتقـــديم لوك اليه ، وفي الحال حوّل الزورثي اهتمامه اليه وقال :
– هـــذا طبق أثري انجليزي أصيل ، أليس جميلاً ؟ إنني احب كل الأشياء الموجودة هنا وأكره الافتراق عنها وبيعها .. لقـــد كنت دائماً أحلم بالحياة في الريف وأن يكون لي حانوت صغير .. إن ويتشوود مكان رائع الجو .
فتمتمت بريدجت :
– الذوق الفني .
واستدار اليها الزورثي في سرعة وهو يشيح بيديه البيض :
– لا تذكري هذه الجملة الكريهة يا مس كونواي .. لا .. لا .. أرجوك .. لا تقولي اني فنان فأنا لا أحمل ذلك العبء ، أنا لست سوى تاجر .. هـذا هو

كل شيء .. لست سوى تاجر .

فسأله لوك :

ـ ولكن ألست فناناً حقاً ؟ أعني ألست ترسم بالألوان المائية ؟

فصاح مستر الزورثي وقد عصر كفيه :

ـ والآن مَن الذي ذكر ذلك لك ؟ أتعلم ان هـذا المكان رائع حقاً ، ولا يمكن للمرء أن يحتفظ فيه بسر ؟.. هـذا هو ما يعجبني هنا ، إنه يختلف تماماً عن المدن التي لا يهتم فيها المرء إلا بنفسه فقط.. هنا الشائعات والفضائح ، وكلها من الأشياء اللطيفة إذا نظر اليها المرء بروح ملائمة .

وأرضى لوك نفسه بالإجابة على الشطر الأول من كلام مستر الزورثي ولم يعنَ بالإجابة على الشطر الثاني فقال :

ـ لقد قالت لنـــا مس وينفليت انك قد قمت بعمل عدة رسوم لفتاة هي آمي جيبز .

ـ اوه .. آمي .. أنا ؟.. نعم ، أظن انني فعلت ذلك .

وظهر عليه الارتباك نوعاً ما ، وقالت بريدجت :

ـ لقد كانت فتاة جميلة .

ـ أتظنين ذلك ؟ لقد كنت أظن دائماً انها عادية .

ثم استدار إلى لوك وقال :

ـ أيعجبك شيء هنا ؟

فأراه لوك الطبق ، وذكر الزورثي له ثمناً ، فقال لوك :

ـ شكراً لك ، أظن انني لن أحرمك هذا الطبق .

فقال الزورثي :

ـ أتعلم انني أشعر بالراحة دائماً عندما لا أبيع ؟.. أليس ذلك بلاهة مني؟ ومع ذلك فإنني سأتنازل لك عنه بعـد إنقاص جنيه من ثمنه ، لأنني أرى انك مهتم به ، وهذا ما يجعلني اغير رأيي وخاصة ان هذا حانوت للبيع .

فقال لوك :

ـ كلا وشكراً .

ورافقها مستر الزورثي حتى الباب وهو يحرّك يديه، وبعد أن خرجا وجّه لوك الحديث إلى بريدجت قائلاً :

ـ إنه شخص كريه .

فردّت عليه بريدجت قائلة :

ـ ذو تفكير كريه وعادات كريهة .

ـ ترى ما هو الدافع الذي من أجله جاء إلى هذا المكان ؟

ـ أعتقد أنه يمارس السحر ، والسمعة التي يشتهر بها هذا المكان كان لها أثر في ذلك .

فقال لوك :

ـ يا لله .. أظن انه الشخص الذي أحتاج اليه حقاً ، كان يجب عليّ أن أتحدث معه في هذا الموضوع .

فقالت بريدجت :

ـ أتظن ذلك ؟ إنه يعرف الكثير عن ذلك .

فقال لوك في اضطراب بعض الشيء :

ـ سأقابله مرة اخرى .

ولم تجب بريدجت على ذلك ، وكانا قد أصبحا وقتئذٍ خارج البلدة ، واستدارت لتسير ببطء وسرعان ما أصبحا بجوار النهر ، وهناك رأيا رجلاً قصيراً ذا شارب كث ومعه ثلاثة كلاب من نوع البولدوج ، وهو يصيح فيها بصوت أجش قائلاً :

ـ نيرو .. تعال هنا .. نيللي .. اتركي ذلك .. اتركيها .. اوجستس .. اوجستس ..

وتوقف عن صياحه ورفع قبعته محيياً بريدجت ، وحدّق بنظره في لوك

في فضول واضح وسار في طريقه متابعاً صياحه ، فتساءل لوك :

– هل هذا هو الميجور هورتون وكلابه البولدوج ؟

– تماماً .

– ألم نرَ تقريباً في هذا الصباح كل من له أهمية في ويتشوود ؟

– تقريباً .

– أشعر أنني متطفل هنا ، وأظن أن الغريب في قرية انجليزية تشم رائحته على بُعد ميل .

فقالت بريدجت :

– إن الميجور هورتون لا يعرف إخفاء فضوله جيداً فقد حدق فيك .

فقال لوك في حنق :

– إنه من ذلك النوع الذي يسهل الحكم عليه بأنه كان ضابطا .

فقالت بريدجت فجأة :

– هل يمكننا ان نجلس على الشاطىء قليلاً ؟ إن لدينا الكثير من الوقت .

وجلس الاثنان على جذع شجرة ملقى على الأرض ، وقالت بريدجت :

– نعم ، إن الميجور هورتون رجل عسكري حقاً ، ومن الصعب أن تصدق أنه كان منذ عام مضى تتحكم فيه امرأة .

– مَن ؟.. هذا الرجل ؟

– نعم ، فقد كان له أسوأ زوجة عرفتها في حيـــاتي ، وكانت ثرية أيضاً ، ولم تخفَ تلك الحقيقة عن الملأ إطلاقاً .

– يا للمسكين .

– وكان دائماً يعاملها في رقة .. كان مثالاً للضابط الجنتلمان ، وأنا شخصياً في عجب لأنه لم يقتلها .

– أعرف من ذلك أنها لم تكن محبوبة .

– لقد كان الجميع يكرهونها ، فقد كانت تعامل جوردون بجفاء وتعاملني

كأنها وصية علي ، وبذلك أصبحت مكروهة في كل مكان تذهب اليه .

– ولكنني علمت أن العناية الإلهية حرمتها الحياة .

– نعم ، منذ حوالي عام مضى أصيبت بمرض مفاجيء ، مما جعل زوجها والدكتور توماس وممرضتين يعيشون في جحيم .. ولكنها ماتت ، وبعد موتها ظهر السرور في الحال على الكلاب البولدوج !..

وأعقب ذلك فترة صمت كانت بريدجت أثناءها تجذب الحشائش من الأرض في كسل ، بينما كان لوك يحدق في الشاطيء المقابل وهو عابس .. ومرة أخرى شعر بثقل المهمة التي آلى على نفسه إنجازها ، وتساءل ما مقدار الحقيقة وما مقدار الخيال فيما يظن .. أليس أمراً سيئاً أن ينظر المرء في ارتياب إلى كل فرد يقابله ثم يقوم بتحليله ودراسته ، ربما يكون مجرما ؟.. إن هذا أمر يحقر من قيمة الفرد .. وفكّر لوك « إن السبب في ذلك يرجع إلى أنني مكثت فترة طويلة أعمل شرطياً » .. وأفاق من تأملاته بصدمة مباغتة ، إذ سمع صوت بريدجت يقول في برود ووضوح :

– مستر فيتز ويليم .. ما هو بالضبط سبب مجيئك إلى هنا ؟..

الفصل السادس

طلاء القبعـــات

كان لوك وقتها يقرّب عود ثقـــاب مشتعل من سيجارته ، وشلّ حركته سؤالها المبـاغت فبقي بلا حراك حتى احترق عود الثقاب ولسع أصابعه ، فقال وهو يلقي بالعود أرضاً ويهزّ يده في عنف :

– يا للعنة .. أرجو المعذرة .. لقد فاجأتني مفاجأة غير سارّة .

وابتسم :

– هل فعلت ذلك ؟

وتنهد لوك وقال :

– نعم .. اوه .. حسناً .. أعتقـد أن أي شخص ذكي كان يمكنه معرفة أمري .. إن قصة تأليف كتاب عن المعتقدات لم تخدعك لحظة ، أليس كذلك ؟

– بعد أن رأيتك ؟.. نعم .

– إذن هل كنت تصدقينها قبل ذلك ؟

– نعم .

– على كل حال ، لم تكن كذبة متقنة ، أعني ان أي شخص قـد يزعم انه يؤلف كتاباً ، ولكن ذلك الجزء الخاص بحضوري هنا وانتحال صفة أحد أبناء

عمومتك ، هو الذي جعلك تظنين ان في الأمر شيئاً ؟

وهزّت بريدجت رأسها وقالت :

ـ كلا ، قد كان لديّ تفسير ذلك، وظننت أنك تعاني أزمة مالية ـ إذ ان كثيراً من أصدقاء جيمي كذلك ـ وفكرت في انه اخترع ذلك حتى يحفظ عليك كبرياءك .

فقال لوك :

ـ أتعنين أن مظهري عندما وصلت جعلك ترين أن ظنك قد خاب ؟

وظهرت ابتسامة بطيئة على شفتيها ثم قالت :

ـ اوه .. كلا ، لم يكن الأمر كذلك .. الموضوع ببساطة انك لم تكن الشخص المناسب لما تدّعيه .

ـ أتعنين انه ليس عندي من الذكاء ما يجعلني أؤلف كتاباً ؟ أرجو ألا تراعي مشاعري ، إذ انني أودّ ان أعرف الحقيقة .

ـ قد تكتب كتاباً ، ولكن ليس ذلك النوع من الكتب عن المعتقدات القديمة .. التنقيب عن الماضي .. لا ، ليس مثل ذلك .. إنك من النوع الذي لا يعنيه الماضي كثيراً ، وربما لا يعنيه المستقبل أيضاً ، إذ انك تُعنى فقط بالحاضر.

ـ أعرف الآن ما تعنينه .. لعنة الله على كل شيء .. لقد جعلتني في حالة عصبية منذ جئت إلى هنا ، فإن مظهرك يدلُّ على الذكاء الخارق .

فقالت بريدجت في جفاء :

ـ آسفة ، ماذا كنت تتوقع إذن ؟

ـ حسناً ، في الحقيقة لم افكر في ذلك .

ولكنها استمرت في حديثها بصوت هادىء :

ـ أكنت تظنني فتاة صغيرة مدللة ، عندها من العقل ما يكفي لأن تدرك الفرصة التي سنحت أمامها لتتزوج من مخدومها فحسب ؟

وخرج من فم لوك صوت يدلُّ على الاضطراب، فأدارت بصرها نحوه وهي

لا تخفي سرورها وقالت :

ــ إنني أعرف تماماً ، لا حرج عليك فأنا لست متضررة .

فقال لوك :

ــ حسناً ، ربما كان الأمر قريباً مما تصفين ولكنني لم افكر كثيراً في ذلك.

فقالت ببطء :

ــ لا أظنك فعلت ذلك .

ــ اوه .. ليس لديّ شك في أنني أسأت كثيراً في تمثيل دوري ، ولكن هل أدرك لورد هوايتفيلد أمري هو الآخر ؟

ــ كلا ، إذ انك لو كنت قد ادّعيت انك حضرت إلى هنا لتكتب كتاباً عن شيء غير معقول لكان جوردون قد صدّقك ، إذ انه يصدق أي شيء .

ــ على كل حال أنا لم أكن ناجحاً على الإطلاق في تمثيل دوري .

فقالت بريدجت :

ــ لقد قلبت لك خططك .. لقد لاحظت ذلك وشعرت بالسرور وأنا أفعله .

ــ طبعاً ، فالنساء ذوات العقول يكنّ عادة قاسيات القلوب .

فتمتمت بريدجت :

ــ على المرء أن ينتهز كل فرصة للسرور .

ثم أضافت قائلة :

ــ لماذا أنت هنا يا مستر فيتز ويليم ؟

وبذلك عادا مرة اخرى إلى ذلك السؤال ، وكان لوك يعلم انه عاجلاً أو آجلاً سيجابَه بنفس السؤال ، وفي الثواني القليلة الأخيرة كان يحاول أن يصل إلى قرار ، ونظر اليها فتقابل النظران ، ثم قال في تفكير :

ــ أظن انه من الأفضل ألا أذكر لك أكاذيب اخرى .

ــ ذلك أفضل كثيراً .

– ولكن الحقيقة غير معقولة .. خبريني ، هل كوّنت لك رأياً ؟.. أعني هل خطر ببالك أي شيء عن سبب مجيئي إلى هنا ؟

فأومأت برأسها في بطء ، فقال :

– ماذا كانت فكرتك ؟ هلاّ قلت لي ؟.. أظن ان ذلك قـــد يساعدني بعض الشيء .

فقالت بريدجت في هدوء :

– لقـــد دار بخلدي انك حضرت إلى هنا في شيء يتعلق بموت تلك الفتاة آمي جيبز .

– هذا ما ظننت ، وما شعرت به كلما ورد ذكر اسمها .. إنني أعلم ان هناك أشياء .. إذن انت ظننت انني جئت لذلك السبب ؟

– أليس كذلك ؟

– نعم ، بلى .

ثم صمت وقطب حاجبيه ، بينما جلست الفتاة بجواره وهي صامتة أيضاً ولم تقل شيئاً خوفاً من أن تقطع عليه تفكيره ، واستقر رأيه على قرار فقال :

– لقد جئت إلى هنا جرياً وراء شيء خيـــالي ، ومن المحتمل ان يكون افتراضاً غير معقول .. وآمي جيبز ليست إلا جزءاً من الكل ، ويهمني ان أعرف بالضبط كيف ماتت .

– نعم ، لقد ظننت ذلك .

– ولكن ما الذي جعلك تظنين ذلك ؟ ما وراء موتهـــا حتى جعلك تهتمين بها ؟

فقالت بريدجت :

– لقد ظننت دوماً ان هنـــاك شيئاً غير طبيعي بالنسبة لموتها ، ولذلك أخذتك لترى مس وينفليت .

– لماذا ؟

– لأنها تظن ذلك أيضاً .

وهنـا عاد لوك بذاكرته سريعاً إلى الوراء فأدرك التلميحات التي دلّ عليها سلوك تلك العانس وقال :

– هل تظن مثلك ان هناك شيئاً غير عادي بالنسبة لموتها ؟

فأومأت بريدجت برأسها :

– ماذا بالضبط ؟

– أولاً .. طلاء القبعات .

– ماذا تعني بطلاء القبعات ؟

– حسناً ، منـذ حوالي عشرين عاماً مضت كان الناس يطلون القبعات .. ففي موسم تكون « الموضة » قبعات قش قرمزية ، وفي الموسم التـالي يشتري المرء زجاجة من طلاء القبعات ويدهنها فتصبح القبعة زرقاء داكنة وهكذا .. أما الآن فالقبعات رخيصة ترميها النساء إذا انتهت « موضتها » .

– حتى ولو كانت الفتاة من طبقة آمي جيبز ؟

– قد يكون معقولاً أن أقوم أنا بطلاء قبعة ، ولكن من غير المعقول أن تقوم آمي جيبز بذلك .. كما ان هناك شيئاً آخر ، ان الطلاء كان لونه أحمر .

– وماذا في ذلك ؟

– لقد كان شعر آمي جيبز لونه أحمر .

– أتعني بذلك انه لا يوجد توافق بين الاثنين ؟

فأومأت بريدجت برأسها وقالت :

– لا يمكن للفتـاة ان ترتدي قبعة حمراء فوق شعر أحمر .. إن الرجل لا يعرف ذلك ولكن ...

فقاطعها لوك قائلاً :

– كلا ، إن الرجل لا يعرف ذلك.

فقالت بريدجت :

– إن لجيمي أصدقاء يعملون في سكوتلانديارد ، فهل تكون ...

فقاطعها لوك بسرعة :

– كلا ، لست مخبراً رسمياً .. أنا بالضبط كما قال لك جيمي ، رجل شرطة متقاعد بعد أن خدمت في الشرق ، واهتمامي بهذا الموضوع سببه حادث عجيب وقع لي في القطار الذاهب إلى لندن .

ثم قصَّ عليها سلسلة الحوادث بالترتيب ، وختم بقوله :

– وهكذا ترين أن الموضوع خيـالي .. إنني أبحث عن رجل معين ، قاتل خفي ، هنا في ويتشوود .. ومن المحتمل أن يكون رجلاً محترماً ومعروفاً ، وذلك إذا كانت مس بينكرتون على صواب فإن ذلك الرجـــل قد قتل آمي جيبز . أظن أنه كان من الممكن أن يتسلل القاتل من خارج المنزل ؟

فقالت بريدجت في بطء :

– نعم ، أظن ذلك .. فالكونستابل ريد تسلق المنزل من الخارج ووصل بذلك إلى نافذتها التي كانت مفتوحة ، وليس الأمر صعباً حقاً .

– لنفترض انه فعل ذلك ، وماذا بعد ؟

– استبدل القاتل بزجاجة شراب السعال زجاجة طلاء قبعات .

– على أمل ان تفعل ما فعلت بالضبط .. ان تستيقظ وتشرب منها ليقول أي فرد بعد ذلك انها ارتكبت خطأ أو انتحرت ؟

– نعم .

– ألم يُشِر التحقيق إلى الشك في أن الحادث قد يكون مدبراً ؟

– نعم .

وفيما يتعلق بلون طلاء القبعات ، ألم يناقش أحد تلك النقطة ؟

– نعم .

– ولكنها خطرت ببالك ؟

– نعم .

– وكذلك الحال بالنسبة لمس وينفليت ؟ هل تناقشتما في تلك النقطة ؟

فابتسمت بريدجت قليلاً وقالت :

– كلا ، ليس كما تتصور .. أعني اننا لم نقل شيئاً . وفي الحقيقة أنا لا أعرف مدى ما وصل اليه عقل تلك المرأة ، ويمكنني ان أقول ان ذلك الموضوع سبّب لها قلقاً في البداية ثم تزايد الأمر تدريجياً ، وأنت تعلم انها ذكية . وبهذه المناسبة هل ذكرت مس بنكرتون لك أسماء اخرى ؟

فأومأ لوك برأسه وقال :

– نعم ، صبي صغير وهو تومي بيرز ، وقد تذكرت الاسم حالما سمعته ، كما انني واثق جداً من أنها ذكرت اسم كارتر أيضاً .

فقالت بريدجت في تفكير :

– كارتر ، تومي بيرز ، آمي جيبز ، دكتور همبلي .. إن الأمر خيالي جداً كما ذكرت ، حتى انه يصعب تصديقه .. مَن الذي يرغب في قتل كل هؤلاء الناس؟

فسألها لوك :

– ألديك أية فكرة عن السبب الذي قد يدعو أي فرد للتخلص من آمي جيبز ؟

فهزّت بريدجت رأسها :

– لا أتصور أحداً .

– وماذا عن ذلك الرجل كارتر ؟ كيف مات ؟

– سقط في النهر وغرق.. لقد كان في طريقه إلى منزله وكانت الليلة يغشاها الضباب كما انه كان مخموراً إلى درجة كبيرة ، ويوجد على النهر قنطرة ضيقة للمشاة فقط لها سور أو حاجز من ناحية واحدة فقط ، والرأي العام انه قد زلّت قدمه فسقط في النهر .

– ولكن كان يمكن لأي فرد بسهولة ان يدفعه ، أليس كذلك ؟

– بلى .

– كما انه كان في إمكان أي فرد آخر بسهولة ان يدفع تومي الصغير دفعة سيئة عندما كان ينظف النافذة ، أليس كذلك ؟

– بلى .

– وهكذا نصل إلى الواقع وهو أنه من السهل حقاً التخلص من ثلاثة أفراد دون ان يثير ذلك أي اشتباه .

فأوضحت بريدجت قائلة :

– ولكن مس بينكرتون اشتبهت .

– نعم اشتبهت .. رحمها الله .. إنها لم تهتم بأنها قد تتخيل أشياء لا أصل لها أو ما شابه ذلك .

– كثيراً ما ذكرت لي ان العالم قد امتلأ شراً .

– وأظن أنك ابتسمت لها في رثاء .

– بل في تعالٍ .

فقال لوك :

– أظن من العبث سؤالك عما إذا كان لديك أي شعور إيحائي بهذا الصدد ؟ هل هناك أي فرد معين في ويتشوود يجعلك عند رؤيته تشعرين بقشعريرة ، أو صاحب أعين غريبة شاحبة اللون ، أو مَن يضحك ضحكة هستيرية تدلُ على الجنون ؟

– إن كل شخص قابلته في ويتشوود يظهر لي أنه عاقل، محترم، وعادي جداً.

فقال لوك :

– كان خوفي ان تقولي هذا الذي ذكرته الآن .

فقالت بريدجت :

– أنت تظن ان ذلك الرجل مجنون قطعاً ؟

– نعم ، مجنون حقاً ، ولكنه مجنون ماكر .. إنه آخر شخص يمرُ بخاطرك ، ومن المحتمل ان يكون واحداً من أئمة المجتمع مثل مدير البنك .

– تعني مستر جونس؟ إنني حقاً لا يمكنني ان أتصوّره يرتكب جرائم بالجملة.

– إذن من المحتمل ان يكون هو الرجل الذي ننشده .

فقالت بريدجت :

– يمكن ان يكون أي شخص إذن مثل الجزار او الخباز او البقال او عامل في الحقل او عامل من عمال الطرق او موزع اللبن .

– نعم يمكن ان يكون كذلك ، ولكنني أظن أن مجال بحثنـــا أضيق من ذلك .

– لماذا ؟

– لقد ذكرت لي مس بينكرتون النظرة التي شهدتها في عيني الشخص وهو ينظر إلى ضحيته التالية ، ومن طريقة حديثها شعرت أن الشخص الذي كانت تتحدث عنه يساويها على الأقل في الحالة الاجتماعية .. وطبعاً قد أكون مخطئاً فيما شعرت به .

– من المحتمل ان تكون مصيباً ، فما يحمله الحديث لا يمكن وصفه بكلمات ولكنها أشياء لا يخطىء المرء فيها حقاً .

فقال لوك :

– أتعرفين انني أشعر بالراحة الآن حقاً بعد أن عرفت انت كل شيء ؟

– أنا اوافقك على أن ذلك سيجعلك أكثر اطمئناناً في اتخاذ ما تراه من خطوات بدون محاولة تغطية مركزك أمامي ، وربما يمكنني أيضاً مساعدتك.

– إن مساعدتك ستكون ذات قيمة لا تقدّر.. أتعنين حقاً انه يهمك كشف ذلك الأمر ؟

– طبعاً .

فسأل لوك في ارتباك مفاجىء :

– وماذا عن لورد هوايتفيلد ؟ أتظنين ..؟

– طبعاً لن نذكر شيئاً من ذلك لجوردون .

— أتعنين انه يصدق ذلك ؟

— اوه .. إنه سيصدق .. إن جوردون يمكنه تصديق أي شيء ، ومن المحتمل انه سيشعر بالنشوة ويُصرّ على ان يضع ثلة من رجـــاله الأذكياء تحت إمرتك لينبشوا في هذه الأنحاء .

فوافق لوك قائلاً :

— ذلك يجعلنا نستبعده من تفكيرنا تماماً .

— نعم ، إذ لا يمكننا ان نسمح له بمزاولة ما يسرُّه على حسابنا .

ونظر لوك اليها وكأنه كان سيذكر لهـا شيئاً ثم عدل عن تفكيره ، وبعد ذلك نظر إلى ساعته ، فقالت بريدجت :

— نعم ، يجدر بنا العودة إلى المنزل .

ثم سارا نحو المنزل في صمت .

الفصل السابع

احتمالات

جلس لوك في غرفة نومه .. وحيداً .. ثم أخذ ورقة و كتب فيها عدة أسماء كما يلي : دكتور توماس، مستر آبوت، ميجور هورتون، مستر الزورثي، مستر ويك ، مستر جونز ، خطيب آمي ، الجزار ، الخباز ، صانع الشموع ، الخ . ثم أخذ ورقة اخرى وكتب في قمتها « الضحايا » ، وتحتها كتب :

آمي جيبز : مسمومة .

تومي بيرز : دفع من النافذة .

هاري كارتر : دفع من الكوبرى (مخموراً ؟ أم مخدراً ؟)

دكتور همبلي : تسمم دموي .

مس بينكرتون : دهمتها سيارة .

ثم أضاف :

مسز روز

العجوز ابن

مسز هورتون .

ومضت فترة وهو يتأمل القائمتين ويدخن ، ثم تنـــاول قلمه مرة اخرى وعاد يكتب :

دكتور توماس : ما يحتمل ان يكون ضده

دافع مؤكد في حالة دكتور همبلي ، وطريقة موت الأخير ملائمة ، وأعني بذلك السم العلمي عن طريق الجراثيم . كما ان آمي جيبز زارته عصر اليوم الذي ماتت فيه (هل هناك علاقة بينهما ؟ ابتزاز أموال عن طريق التهديد مثلاً ؟) .

تومي بيرز ؟ لا توجـد علاقة معروفة (هل كان تومي يعرف بوجود علاقة مثلاً بينه وبين آمي جيبز ؟) .

هاري كارتر ؟ لا توجد علاقة معروفة .

هل كان الدكتور توماس متغيباً عن ويتشوود في اليوم الذي ذهبت فيه مبس بينكرتون إلى لندن ؟

وتنهد لوك ثم بدأ في عنوان جديد

★

مستر آبوت : ما يحتمل ان يكون ضده

(أشعر ان المحامي يكون شخصاً يدعو للاشتباه فيه ،ومن المحتمل ان يكون شعوري هذا بُني على الهوى) .

شخصية متلونة ، طبيعية ، الخ . يصلح قطعاً لأن يكون مشتبهاً فيه إذا ذكر في قصة مكتوبة ، فالعـــادة هي الاشتباه في الأشخاص الطبيعيين ذوي الغرور . وجه الاعتراض انني لا أكتب كتاباً وإنما أنقل عن الحياة الواقعية .

الدافع على قتل دكتور همبلي : عداء قاطع كان موجوداً بين الرجلين ، فقد تحدّى همبلي آبوت ، وهو دافع كافٍ لعقل مختل ، والعداء كان من الممكن لمس بينكرتون ملاحظته .

تومي بيرز : لقـد اطلع الأخير خلسة على أوراق تخص آبوت .. هل تراه عرف منها أشياء لم يكن له ان يعرفها ؟

هارى كارتر : لا توجد علاقة معروفة .

آمي جيبز : لا توجد علاقة معروفة . طلاء القبعات يتفق تماماً وعقلية آبوت ، وهي عقلية رجعية .

هل كان آبوت متغيباً عن القرية في اليوم الذي قُتلت فيه مس بينكرتون ؟

★

ميجور هورتون : ما يحتمل ان يكون ضده

لا توجد علاقة معروفة مع كل من آمي جيبز أو تومي بيرز أو كارتر ، ولكن ماذا عن مسز هورتون ؟ يظهر أن موتها كان سببه السم بالزرنيخ ، فإذا كان الأمر كذلك فربما يكون قد ترتب على ذلك ابتزاز المال عن طريق التهديد ؟ ملحوظة : (كان الدكتور توماس هو الطبيب المعالج ، وهذا ما يدعو إلى الاشتباه في توماس أيضاً) .

★

مستر الزورثي : ما يحتمل ان يكون ضده

شخصية كريهة ، يمارس السحر ، يمكن ان يكون ذا طباع تشبه طباع قاتل متعطش للدماء ، له علاقة بآمي جيبز ، فهل له علاقة بتومي بيرز ؟ وكارتر ؟ لا شيء معروف حتى الآن .. وهمبلبي ؟ ربما يكون قد عرف بأمر الحالة العقلية لالزورثي .. ومس بينكرتون ؟ هل كان الزورثي متغيباً عن ويتشوود عندما قتلت مس بينكرتون ؟

★

مستر ويك : ما يحتمل ان يكون ضده

أمر بعيد الاحتمال. هل هناك احتمال في وجود جنون ديني ؟ إن رسالته هي أن يقتل ؟ في القصص يحتمل ان يكون الأمر كذلك بالنسبة للرجال الدينيين

العجائز ، ولكن ــ كما ذكر من قبل ــ هذه ليست قصة بل واقع الحياة .

ملحوظة : كل من كارتر وتومي وآمي شخصيات غير محبوبة قطعاً ، فهل من الأفضل أن تُزال من الوجود بقرار مقدس ؟

★

مستر جونز

المعلومات عنه : لا شيء

★

خطيب آمي

ربما يكون لديه كل مسا يدعوه إلى قتل آمي ، ولكن يظهر انه غير معقول ان يكون ذلك القاتل الجماعي لتعدد القتلى .

★

وقرأ لوك ما كتبه ، ثم هزّ رأسه وتمتم في صوت خفيض :
ــ كل ذلك أمر غير معقول .
ثم مزّق القوائم التي كتبها وأحرقها وهو يقول لنفسه :
« لن يكون الأمر سهلاً حقاً » .

الفصل الثامن

دكتور توماس

كان الدكتور توماس شاباً لا يدلُّ منظره على حقيقة سنه ، إذ كان في الثلاثين من عمره ولكن منظره يدلُّ على انه في بداية العقد الثالث أو نهاية العقد الثاني ، ومع ان منظره كان يوحي بعـدم النضج ، إلا أن تحليله للآلام الروماتيزمية التي يشعر بها لوك في ركبته كادت تتفق تماماً مع التشخيص الذي قام به أحد مشاهير الأطباء الاخصائيين في هارلي ستريت منذ حوالي اسبوع . وقال لوك :

– شكراً ، وإني أشعر بارتياح لأنك تظن أن العـلاج بالكهرباء سيشفي ركبتي ، إذ انني لا أرغب في ان أصير مُقعداً وأنا في هذه السن .

وابتسم دكتور توماس ابتسامة بريئة وقال :

– لا أظن مطلقاً أن هناك أي خطر يا مستر فيتز ويليم .

– لقد أرحت ضميري ، وكنت افكر في الذهاب إلى اخصائي وأنا متأكد الآن أنه لا ضرورة لذلك .

وابتسم دكتور توماس مرة اخرى وقال :

– إذهب إذا كان في ذلك إراحة لضميرك ، وعلى كل حال فالأفضل دائماً استشارة اخصائي .

– كلا ، كلا .. إن لي ثقة كاملة بك

– صراحة لا توجـــد أية مضاعفات في حالتك ، وإذا عملت بنصيحتي فأنا متأكد أنك ستتخلص من الآلام .. ثم قال :

– أنت تكتب كتاباً عن السحر يا مستر فيتز ويليم ، أليس كذلك ؟

فقال لوك في دهشة :

– والآن كيف عرفت ذلك؟

وظهر السرور على وجه دكتور توماس وقال :

– يا سيدي العزيز ، إن الأنباء تنتقل بسرعة جداً في مثل هذا المكان ، إذ ليس لدينا إلا القليل نتحدث فيه .

– ومن المحتمل أن تحدث مبالغات أيضاً، وربما تسمع انني أستحضر الأرواح وأستجلب السحرة .

– عجيب ان تذكر ذلك ، لأن الاشاعات ذكرت انك استحضرت روح تومي بيرز .

– بيرز ؟ أليس هو ذلك الصبي الذي وقع من النافذة ؟

– بلى .

– إنني أعجب كيف .. آه .. بالطبع .. لقـــد أبديت ملاحظة لذلك المحامي آبوت .

– تماماً ، لقد بدأت الاشاعة من آبوت .

– لا تقل اني قد جعلت محامياً عركته الحياة يعتقد في الأشباح ؟

– إذن أتعتقد انت في الأشباح ؟

– إن لهجتك توحي بأنك لا تعتقد فيها يا دكتور .. كلا ، لا يمكنني القول بأنني حقاً أعتقد في الاشباح ، ولكنني شهدت ظواهر غريبة في حالات موت الفجاءة إثر حادث ، ولكنني أكثر اهتماماً في المعتقدات التي تصاحب مثل تلك الحالات، فالشخص المقتول لا يستكين في قبره ، ودماء المقتول تعود لتسيل إذا لمس القاتل جسده .

– غريب جداً مـا تقول ، ولكنني لا أظن أن كثيراً من الناس يتذكرون الآن مثل هذه الأشياء .

– بل أكثر مما تظن ، وبالطبع لا أظن أن جرائم قتل عديدة تُرتكب هنا ولذلك فمن الصعب ان نحكم برأي قاطع .

– لا ، لا أظن أنه قد وقعت هنا جريمة قتل منذ عدة سنوات ، وبالتأكيد لم تحدث أية جريمة منذ حضرت إلى هنا .. إن هـــذه البقعة هادئة لا توحي بالأعمال الإجرامّية إلا إذا كان أحدهم قد دفع بيده تومي من النافذة .. حقاً إن كثيراً من الناس كانوا يرغبون في دق عنق هـــذا الصبي ، ولكنني لا أظن أن أحدهم وصل به تفكيره إلى حد دفعه من النافذة .

وضحك لوك .. ومرة اخرى عادت الابتسامة الصبيانية إلى وجه دكتور توماس .. ثم قال لوك :

– يظهر أنه كان ولداً ممقوتاً ، وربما كان التخلص منه قـــد اعتبر واجباً للمجتمع ، ولقد كنت دائماً أرى أن بعض الجرائم قد تفيد المجتمع ، مثل الثقيل الذي يفرض نفسه على الغير يجب التخلص منه بدسّ السم له في كأس من الشراب ، والنساء اللاتي يضحكن في وجه الغير ثم ينهشن ذلك الغير حالما تستدير الظهور ، وكذلك الرجعيون الذين يعوقون التقدم ، فإذا أمكن التخلص من أمثال هؤلاء في هدوء فإن ذلك يُعدُّ كسباً للمجتمع .

وزادت ابتسامة الدكتور توماس اتساعاً وقال :

– أنت في الواقع تحبذ الجرائم على نطاق واسع ؟

– ألا توافقني على أن ذلك فيه فائدة للمجتمع ؟

– بغير شك .

فقال لوك :

– آه .. ولكنك غير جاد بينما أنا جاد فيما أقول ، فأنا لا أكنّ للحيـــاة البشرية من الاحترام مثل ما يكنّه الرجل الانجليزي العادي ، فأي رجل يعدُّ

عائقاً في سبيل التقدم يجدر إزالته .. هذا ما أراه .

فقال الدكتور توماس وهو يمرُّ بيده في شعره الأشقر :

– نعم ، ولكن مَن الذي يحكم بصلاحية أو عدم صلاحية فرد ما ؟

فقال لوك :

– أعترف أن هنا وجه الصعوبة .

– إذا أخذنا برأيك فإن الكاثوليكي المتمدن سيعتبر الداعية الشيوعي غير أهل للحياة ، كما ان الأخير سيحكم بالإعدام على القسيس الذى يدعو إلى ما يسميه ترهات ، والطبيب سيتخلص من الشخص العليل ، والمحب للسلام سيدعو بالفناء على الجندى .. وهكذا .

فقال لوك :

– يجب ان يكون الحكم في ذلك لرجل يتمتع بعقل علمي لا يميل مع الهوى مثل طبيب .. وبهذه المناسبة أظن انك تصلح لذلك يا دكتور .

– أتعني للحكم على الصلاحية للحياة ؟

– نعم .

فهزَّ الدكتور توماس رأسه وقال :

– إن مهمتي هي أن أجعل مَن لا يصلح صالحاً ، وأعترف أن هذه مهمة شاقة .

فقال لوك :

– دعنا نأخذ مثالاً على سبيل الجدل .. مثلاً ذلك الرجل المدعو مارى كارتر .

فقال الدكتور توماس في جدّة :

– كارتر ؟ أتعني صاحب حانة النجوم السبع ؟

– نعم ، أنا لم أعرفه ، ولكن ابنة عمي مس كونواى كانت تتحدث عنه ، ويظهر أنه كان أفاقاً .

– لقد كان سكيراً وكان يسيء معاملة زوجته ويتحكم في ابنته ، وكان

دائم الشجار بذيئاً وقد تشاحن مع معظم الناس .

– إذن الواقع أن المكان قد صار أفضل بدونه

– أوافقك على أن هذا هو الواقع .

– إذن لنفترض ان أحدهم دفعه بيــده من فوق الكوبرى وبذلك سقط في النهر ، فإن ذلك الفرد يكون قد أدّى خدمة اجتماعية .

فقال الدكتور توماس في جفاء :

– هذه الأساليب التي تدعو اليها ، هل كنت تعمل بها في مضيق مايانج حيث كنت تعمل ؟

وضحك لوك وقال :

– اوه .. كلا .. إن الأمر بالنسبة لي لا يعدو كونه نظرياً ، لا عملياً .

– كلا ، لا أظن انك من المعدن الذي يتصف به القاتلون .

– ولماذا لا ؟ لقد كنت صريحاً بما فيه الكفاية في إبداء وجهة نظري .

– تماماً ، صريحاً أكثر من اللازم .

– أتعني بذلك انني لو كنت حقاً الرجل الذي يعــدّ نفسه قاضياً وحكماً ، فما كان لي حق الإفصاح عن وجهة نظري ؟

– هذا ما عنيته .

– ولكنني قد أكون في حالة إيمان بما أشعر به تصل إلى حدّ الهوس .

– حتى إذا كان الأمر كذلك فإن إحساسك بحماية نفسك سيكون عاملاً فعالاً . والواقع انك إذا أردت البحث عن قاتل فابحث عن شخص يدلُّ مظهره على الطيبة والرقة وأنه لا يمكنه إيذاء فراشة .

فقال لوك :

– قل لي ، هل صادفت مرة رجلاً ظننت أنه قد يكون قاتلاً ؟

فردّ توماس بحدّة :

– حقاً ، يا له من سؤال غريب .

– وما وجه الغرابة فيه ؟ إن الطبيب لا بد أن يقـــابل شخصيات عديدة غريبة ، وفي استطاعته ان يلاحظ مثلاً علامات جنون القتل في بدئهـا قبل ان يلحظها الغير .

فقال توماس في تبرم :

– إن معلوماتك عن جنون القتل لا تعدو معلومات الرجل العادى ، فأنت تتصوّره رجلاً يهيم على وجهه وقـد ملأ الزبد فمه وفي يده سكين .. دعني أقل لك ان من أصعب الأشياء معرفة من عنده نزعة القتل الجنونية ، فقد يكون مثل غيره من الناس تماماً وربما يكون من السهل إخافته وقد يذكر لك ان له أعداء ولا شيء غير ذلك ، أى انه يكون رجلاً وديعاً لا يميل إلى الشغب .

– أذلك حق ؟

– طبعاً .. فعادة يرتكب المصاب بجنون القتل جرائمه وهو يعتقد أنه يدافع عن نفسه ، ولكن معظم القتلة بطبيعة الحال أناس عقلاء مثلك ومثلي .

– إنك تخيفني بقولك هذا يا دكتور .. تصوّر أنك تعرف فيما بعـد أنني ارتكبت خمس أو ست جرائم قتل مثلاً .

فابتسم الدكتور توماس وقال :

– لا أظن ذلك معقولاً يا مستر فيتز ويليم .

– أشكرك على هذا الإطراء وأبادلك إياه قائلاً انني لا أظن انك انت أيضاً قد ارتكبت خمس أو ست جرائم قتل .

فقال الدكتور توماس في انبساط :

– أنت لم تحص ِ فشلي في الحالات التي عالجتها .

وضحك الرجلان ، ثم قام لوك لينصرف وقال معتذراً :

– أظن انني قد ضيّعت عليك الكثير من وقتك .

– كلا ، إنني لست مشغولاً .. إن ويتشوود مكان صحي . وممـــا يبعث السرور أن يتحدث المرء مع شخص شهد العالم الخارجي .

فقال لوك :

– إني لأعجب . . .

ثم صمت ، فقال الآخر :

– ماذا ؟

– لقد قالت لي مس كونواى عندما أوصتني بالحضور اليك أنك طبيب من الدرجة الاولى ، فعجبت وساءلت نفسي : ألا تشعر أنك شبه مقبور هنـا ، إذ لا تسنح لك أية فرصة لإظهار نبوغك ؟

– أنا أعتقد أن عدم التخصص للطبيب يُعـدُّ بداية طيبة له ، إذ يكتسب منه خبرة قيّمة .

– ولكنك لن تكون سعيداً إذا أمضيت كل حياتك في هذا المكان . . إن شريكك المرحوم الدكتور همبلي لم يكن رجلاً طموحاً ، هذا ما سمعته ، وكان سعيداً بعمله ، ولا بد أنه كان سيبقى هنا سنوات عديدة لو امتدّ به الأجل .

– بل كان سيقضي كل حياته هنا .

– وسمعت أيضاً أنه كان رجعياً في أساليب علاجه .

– كان عنيداً في بعض الأحيان . . كان ينظر بكثير من الشك إلى الأساليب الحديثة ، ولكنه كان مثالاً طيباً للمدرسة القديمة من الأطباء .

– لقد ترك بعده ابنة جميلة جداً حسب ما سمعت .

وأسعد لوك أن يرى وجه الدكتور توماس الشاحب وقد تحوّل إلى لون قرمزي .

– اوه . . نعم .

ونظر اليه لوك في عطف وشعر بالسرور حقاً إذ تأكد أن توماس لا مكان له في قائمة الأشخاص المشتبه فيهم . . وفجأة قال توماس :

– بمناسبة حديثنا الآن عن الجرائم يمكنني أن أعيرك كتاباً في هذا الموضوع ما دام ذلك يهمك ، وهو كتاب مترجم عن الالمانية .

وأحضر له الدكتور توماس الكتاب وكان أحد فصوله يدور حول مربية قتلت عديداً من الأطفال قبل أن يتطرّق الشك اليها .. فقال لوك معقباً :

ـ إنه مما يثير الدهشة أن يرتكب مثل هؤلاء النــاس عدة جرائم دون أن يحوم الشك حولهم .

فقال الدكتور توماس :

ـ هذا ليس غريباً حقاً ، وأنت تعرف أنه أمر سهل جداً .

ـ ماذا ؟

وعادت الابتسامة على شفتي الدكتور توماس وهو يقول :

ـ ألا يشك فيهم أحد ؟.. فعلى المرء ان يكون حذراً ، هذا هو كل شيء.. والرجل الذكي يكون على حذر شديد حتى لا يرتكب أية هفوة .

وابتسم توماس مرة اخرى ثم دار على عقبيه ودخل المنزل ، بينما وقف لوك على الدرج وهو يحدق حيث دخل الدكتور .. لقــــد شعر أن ابتسامة الطبيب تحمل نوعاً من التعــالي ، فقد شعر طوال الحديث أنه رجل ناضج وأن الدكتور توماس رجل شاب لم تعركه الحياة بعد .. وفجأة وفي برهة قصيرة شعر وكأن الأوضاع قـــد اختلفت تماماً ، إذ كانت ابتسامة الطبيب توحي بأنها ابتسامة رجل تام النمو يشعر بالسرور لفطنة صبي صغير .

الفصل التاسع

مسز بيرز تتكلم

كان لوك قد اشترى لتوه علبة من السجائر ونسخة من المجلة الأسبوعية التي يصدرها لورد هوايتفيلد من الحانوت الصغير الكائن في هاي ستريت ، وفتح الصحيفة على الصفحة المخصصة لكرة القدم ، فوجد أنه قد فشل في الفوز بمائة وعشرين جنيهاً فتمتم ساخطاً ، مما حدا بمسز بيرز أن تبدي أسفها وتذكر له مناسبات مماثلة خسرت فيها مبالغ كبيرة وقالت :

– ان زوجي مستر بيرز يهتم كثيراً بمباريات كرة القدم وهي أول شيء يقرؤه في الصحف وكثيراً ما أصابته الخيبة ، ولكنني أعود فأقول انه لا يمكن لكل فرد ان يفوز وانه لا يمكن معاندة الحظ .

ووافقتها لوك بحرارة على ذلك وأضاف قائلا ان ذلك يجعله يتذكر ان المصائب لا تأتي فرادى ، فتنهدت مسز بيرز وقالت :

– تماماً يا سيدي .. أنا أعرف ذلك عن خبرة شخصية ، فإذا كان لامرأة زوج وثمانية من الأولاد ستة منهم أحياء وإثنان ماتا ، فإنها تعرف حقا ما هي المصيبة .

– بغير شك .. تقولين ان اثنين من بنيك ماتا ؟

فقالت مسز بيرز :

– أحدهما لم يمض على موته سوى شهر واحد .

– هذا أمر محزن حقاً .

– لم يكن الأمر محزناً فقط ، بل كان صدمة لي وقد أصبت بحالة غريبة عندما أخبروني بما حدث ، فإنني لم أكن أتوقع أن يحدث شيء مثل ذلك لتومي لأن الطفل إذا كان مصدر متاعب لأهله فإنهم عادة لا يتوقعون له الموت ، فمثلاً كانت لي ابنة هادئة جداً وظريفة جداً وكان الناس يقولون لي أنها لا يمكن أن تعيش طويلاً وانها لم تخلق لمثل هذه الحيـــاة ، وكان ذلك حقاً يا سيدي فقد توفيت .

وشاركها لوك في عواطفها وشعر بحاجة ملحة إلى إدارة دفة الحديث إلى تومي فقال :

– تقولين ان ابنك مات حديثاً ، فهل كان ذلك في حادث ما ؟

– نعم .. مات في حادثة يا سيدي ، إذ كان ينظف نافذة في الهول القـــديم الذي أصبح الآن مقراً للمكتبة ولا بد أنه فقد توازنه وسقط من أعلى النافذة .

فقال لوك في عدم اهتمام :

– ألم تسمعي ما قيل من أنه قد رؤي وهو يرقص على حافة النافذة ؟

فقالت مسز بيرز ان الأطفال لا يقدرون عواقب أعمالهم .

وهنا سألها لوك عما إذا كان تومي قد ضايق بألاعيبه الصبيانية مخدوميه ، فأسرعت مسز بيرز تجيب :

– انه لم يكن يفعل ما فعل إلا بدافع من المرح ، فمثلاً كان تومي بارعاً في تقليد غيره إلى درجة تدفعنا إلى الضحك الكثير إذا ما قـــلد مستر الزورثي صاحب حانوت العاديات أو مستر هوبز العجوز ، كما أنه كان يقلد لورد هوايتفلد على مرأى من اثنين من الخدم وهما يضحكان عندما فاجأه اللورد فقام بطرده في الحال ، وهذا ما كان متوقعاً بطبيعة الحال ولكن اللورد لم يحمل له ضغينة

لأنه وجد لتومي عملاً آخر .

– ولكن غيره من الناس لم يكونوا مثله في التسامح .

– هـذا حقيقي يا سيدي ولكنني لن أذكر اسم أحد .. كما انك لن تظن أبداً أن يعمل مستر آبوت ما عمله وهو الشخص المعروف بطبـاعه الحسنة وأسلوبه المهذب .

– هل حدث بينه وبين تومي شيء ؟

فقالت مسز بيرز ؟

– أنا أعلم ان الصبي لم يقصد أي ضرر..وعلى كل حال فإذا كان في الأوراق شيء خاص لا يراد لغريب الاطلاع عليه ، فلماذا يترك على المنضدة ؟

فقال لوك :

– بالضبط .. فالأوراق الخاصة الموجودة في مكتب محام يجب وضعها في خزانة .

– هذا صحيح يا سيدي وهذا ما أظنه ويوافقني على ذلك زوجي مستر بيرز ولا أظن ان تومي قرأ منه الشيء الكثير .

فسألها لوك:

– أي شيء قرأه ؟.. أهي وصية ؟

– كلا يا سيدي .. لم تكن شيئاً كهذا .. انه لا يعدو كونه خطاباً خاصاً من سيده ، وتومي لم يعرف حتى اسمها .. وحدث ما حدث بسبب هـذا الشيء التافه .

– لا بد أن مستر آبوت من الأشخاص الذين يثورون بسرعة ، غير أنني سمعت أنه من الصعب الوقوف ضده ، كما انه كان هو والدكتور همبلبي في أشد حالات الخلاف قبل موت الأخير .

فقال لوك :

– انها مصادفة غريبة حقاً ... خلاف مع الدكتور همبلبي ، فإذا بالدكتور

يموت ومعاملة قاسية لتومي فإذا بتومي يموت ... وفي ظني ان هذين الحادثين لا بد أن يدفعا مستر آبوت إلى الحذر في أقواله .

فأضافت مسز بيرز :

— وكذلك الحال مع هاري كارتر صاحب حانة النجوم السبع ، إذ تبادل الاثنان الكلام اللاذع قبل موت كارتر بأسبوع واحد ، بيد ان السباب صدر أصلاً من كارتر الذي ذهب وهو مخمور إلى منزل آبوت ونعته بأشنع الكلمات بأعلى صوته .. مسكينة مستر كارتر التي قاست كثيراً معه والتي كان موته بالنسبة لها بمثابة رحمة لها .

— ألم يترك وراءه ابنة أيضاً ؟

— آه .. لست بالسيدة التي تردد الشائعات .

وكان هـــذا القول غير متوقع .. ولكنه كان مشجعاً .. ولذا أرهف لوك أذنيه .

— أنا لا أقول ان الأمر لم يعدو مجرد أقوال فلوسي كارتر شابة جميلة، ولولا الفرق في المستوى الاجتماعي لما كانت هناك غرابة .. ولا يمكن للمرء أن ينكر الشائعات وخاصة بعد أن ذهب كارتر إلى منزل آبوت وهو يصيح ويهدد ويتوعد.

فقال لوك :

— يظهر أن مستر آبوت من النوع الذي يولع بفتـــاة ذات حسن ، فقالت مسز بيرز :

— هذا هو الحال بالنسبة لمعظم الرجال وهم لا يعنون بذلك شيئاً سوى كلمة عابرة ، ولكن مثل هذا الأمر يصبح شيئاً ملحوظاً في مثل هذا المكان .

ودفع لها لوك ثمن ما اشتراه ثم حياها مودعاً وسار في طريقه ومضى يحدّث نفسه قائلاً :

« والآن أمامنا ما يمكن ان يتهم به آبوت .. فقد قرنته بثلاث من الضحايا فقد تشاجر مع همبلبي وتشاجر مع كارتر وتشاجر مع تومي بيرز وقـد مات

الثلاثة ، فماذا بشأن الفتاة آمي جيبز ؟ وما هو ذلك الخطاب الخاص الذي اطلع عليه الصبي ؟ هل عرف من الذي أرسله ؟ أم تراه لم يعرف ؟ ربما لم يقل ذلك لوالدته ولنفترض انه عرف اسم مرسل الخطاب .. ثم لنفترض ان آبوت رأى انه من الضروري ان يغلق فمه .. ان ذلك ممكن الحدوث .. هـذا هو كل ما يمكن للمرء أن يقوله .. انه أمر ممكن ولكنه ليس سبباً كافياً » .

وأسرع لوك في سيره وهو ينظر حوله في ضيق وقال :

— هذه القرية اللعينة .. انها بدأت تحطم أعصابي.. هادئة بريئة .. وطوال الوقت هناك سلسلة من الجرائم الحمقاء ترتكب فيها ولا أحد يدري .. أم تراني أنا الأحمق ؟ هل كانت لافينا بينكرتون حمقاء ؟ وعلى كل حال قـد لا يعدو الأمر انه نوع من المصادفات .. ورفع بصره فإذا به يرى أمامه تل آسن ريدج الذي شهد في أزمان ماضية طقوس سحر ومشاهد قسوة وتعذيب ودماء تسيل ارضاء لشهوات شريرة .. وفجأة رأى شخصين يسيران وعرفهما في سهولة ، فقد كانا بريدجت والزورثي وكان الأخير يحرك يديه في حركات عصبية ، وكان رأسه منحنياً نحو بريدجت وكانا شبه شخصين جسدتهما أعذب الأحلام، ويكاد يشعر المرء ان أقدامهما لا تترك صوتاً مسموعاً ، كما رأى شعر بريدجت الأسود وهو يتطاير خلف رأسها بفعل الرياح الهوج ، ومرة أخرى شعر بذلك السحر الغريب يتملكه فقال لنفسه :

« لقد سحرتني .. نعم سحرتني .. » .

ووقف ساكناً في مكانه واحتواه شعور غريب يكتنف كل كيانه .

ترى من الذي يشفيني من ذلك السحر ؟. لا أحد !!.

الفصل العاشر

روز همبلي

استدار لوك بعد أن سمع صوتاً رقيقاً يتساءل عما إذا كان هو مستر فيتز ويليم ، فألفى أمامه فتاة على درجة ملحوظة من الجمال ذات شعر كستنائي وعينين داكنتي الزرقة وكانت حمرة الخجل تغطي وجهها فرد عليها لوك قائلاً:

– نعم أنا ..

– أنا روز همبلبي .. لقد قالت لي بريدجت انك تعرف أشخاصاً كانوا يعرفون أبي .

واحمرّ وجه لوك وقال :

– كان ذلك منذ وقت طويل إذ كانوا يعرفونه وهو شاب قبل أن يتزوج وظهر على روز انها صدمت بعض الشيء ولكنها مضت تقول :

– أنت تكتب كتاباً .. أليس كذلك ؟

– نعم .. أعني انني أدون ملاحظاتي التي سأضمنها كتابي عن المعتقدات المحلية وما أشبه ذلك .

– يظهر ان الكتاب سيكون مثيراً جداً .

فقال لوك :

– بل من المحتمل ان يكون الكتاب مملاً جداً .

– أوه .. كلا .. بل أنا واثقة مما أقول .

فابتسم لوك لها وحدث نفسه قائلاً ان الدكتور توماس رجل سعيد الحظ حقاً ثم قال :

– هناك أشخاص في مقدورهم ان يحيلوا أمتع الموضوعات إلى موضوعات مملة لا يتحملها أحد وأظن انني من هؤلاء .

– أوه .. ولكن لماذا تقول كذلك ؟

– لا أعرف .. ولكن اعتقادي هذا يزداد يوماً عن يوم .

فقالت روز همبلبي :

– قــــد تكون من هؤلاء الأشخاص الذين يحيلون الموضوعات المملة إلى موضوعات شيقة جداً .

فقال لوك :

– هذا ظن يدل على ظرفك فشكراً لك .

وابتسمت روز همبلبي ثم قالت :

– هل تؤمن بالمعتقدات وما أشبه ذلك ؟

– هذا سؤال صعب فقد يهتم المرء بأشياء لا يؤمن بها .

فقالت الفتاة في شك واضح :

– نعم .. أظن ذلك .

– هل تتطيرين ؟

– كلا .. لا أظن ذلك .. وإن كنت أظن ان الأحداث تتلو بعضها على شكل موجات ؟

– أي موجات ؟

– موجات من الحظ السيء أو الحظ الحسن .. أعني انني أشعر أخيراً وكأن ويتشوود قد وقعت تحت موجة من الحظ السيىء فأبي يموت .. ثم تدهم

سيارة مس بينكرتون ثم ذلك الصبي الذي سقط من النـــافذة ، وبدأت أشعر وكأني أكره هذا المكان ، وكأنه يجب عليّ أن أتركه .

وعلت أنفاسها ومضى لوك ينظر اليها وهو يفكر ثم قال :

– إذن أنت تشعرين هكذا ؟

– اوه .. أنا أعرف أن هذا أمر سخيف، وأظن حقاً أن مرجع ذلك موت والدي على غير انتظار ، فجأة ، ثم بعد ذلك مس بينكرتون .. لقد قالت ...

ثم توقفت فسألها لوك :

– ماذا قالت ؟ لقد كانت سيدة عجوزاً ظريفة ، حتى انني فكرت في أنها تشبه عمة لي احبها .

وأشرق وجه روز وقالت:

– اوه ، هل كنت تعرفها ؟ لقد كنت احبها كثيراً ، كما أنها كانت تحب أبي ولو أنني في بعض الأحيان كنت أظنها أنها غريبة الأطوار ، إذ يظهر أنها كانت خائفة منحدوث شيء ما لأبي،بل انها كادت تحذره وخاصة ما يتعلق بالحوادث، ثم حدث في ذلك اليوم قبل ذهابها الى لندن، انها كانت غريبة جداً في تصرفاتها وأعتقد حقاً يا مستر فيتز ويليم انها كانت من ذلك النوع من الناس الذين يتمتعون بمعرفة المستقبل ، فقد كانت تعرف أنه سيحدث شيء لهـا ، ولا بد أنها عرفت أن شيئاً سيحدث لأبي أيضاً ، إن هذا أمر مخيف .

وتحركت خطوة في اتجاهه ، فقال لوك :

– يحدث أحيـــاناً للمرء أن يتنبأ بالمستقبل ، ولو أن ذلك ليس من الامور غير العادية .

– كلا ، أظن أنها أمر طبيعي حقاً وأنها حاسة يفتقدها معظم الناس، وعلى كل حال فإن ذلك يقلقني .

– يجب ألا يستبد بك القلق ، وتذكري أن كل ذلك قد أصبح بالنسبة لك ماضياً ، وليس من المستحسن أن يعود المرء الى الماضي، فالمستقبل هو الذي يجب

أن نعيش من أجله .

وظهر التردد على روز وهي تقول :

ــ أعلم ذلك ، ولكن هناك أكثر منه ، يتعلق بابنة عمك .

ــ ابنة عمي ؟ بريدجت ؟

ــ نعم ، فقد كانت مس بينكرتون في قلق من ناحيتها بصورة ما ، إذ كانت دائماً تسألني أسئلة عنها ، وأظنها كانت خائفة عليها أيضاً .

واستدار لوك فجأة ومضى يفحص ببصره التل المجاور ، وشعر بالخوف بلا سبب ، فبريدجت وحدها مع ذلك الرجل ذي اليدين الغريبتين .. تخيلات .. لا بد أنهــا تخيلات .. فالزورثي ليس إلا رجلاً غير مؤذ يمتلك حانوتاً . وكأن روز قد قرأت ما يدور في ذهنه فسألته :

ــ هل تحب مستر الزورثي ؟

ــ كلا قطعاً .

ــ جيوفرى ، أعني دكتور توماس لا يحبه هو الآخر .

ــ وأنت ؟

ــ اوه ، كلا ، أظن أنه كريه .. لقد سمعت عنه كثيراً من الأقوال ، فقد قيل لي أنه يمارس حفــلا غريباً في ساحة الساحرات ، وأن عديداً من أصدقائه حضروا من لنـــدن ، وان منظرهم لغريب ، وان تومي بيرز اشترك معهم في هذا الحفل .

فسألها لوك في حدة :

ــ تومي بيرز ؟

ــ نعم ، فقد كان يرتدي قناعاً ورداء غريبين .

ــ متى حدث ذلك ؟

ــ اوه ، منذ مدة .. أظن ان ذلك كان في شهر مارس .

ــ يظهر أن تومي بيرز كان مشتركاً في كل شيء يحدث في هذه القرية .

فقالت روز :
ـ لقد كان فضولياً الى درجة كبيرة ، وكان شغوفاً بمعرفة كل ما يحدث .
فقال لوك :
ـ من المحتمل أنه عرف أكثر مما يجب في النهاية .
ـ لقد كان صبياً ذا ميول شرّيرة ، فقد كان يحب تقطيع النحل وإغاظة الكلاب .
ـ إنه من ذلك النوع من الصبية الذين لا يشعر أحد بالرثاء لهم إذا ماتوا .
ـ نعم ، أظن ذلك ، ولو أن الأمر كان محزناً بالنسبة لوالدته .
ـ علمت أن لديها الآن خمسة أطفال يعزونها عن فقده، ولكن يا له من لسان ذلك الذي تملكه .
ـ إنها تتحدث كثيراً ، أليس كذلك ؟
ـ لقد شعرت بعد أن اشتريت منها علبة سجائر بقليل أنني أصبحت أعرف تاريخ حياة كل فرد في القرية .
فقالت روز :
ـ هذا هو أسوأ شيء في مثل هذا المكان ، فكل فرد يعرف كل شيء عن الآخرين .
فقال لوك :
ـ اوه ، كلا .
وهنا نظرت اليه روز متسائلة ، فقال لوك بلهجة ذات مغزى :
ـ لا يوجد شخص يعرف حقاً كل شيء عن شخص آخر .
ـ كلا ، لا أظن أن ذلك ممكن حقاً .
فقال لوك :
ـ حتى ولا أقرب الناس الى الشخص .
ـ أظن انك على حق ، ولكنني كنت أودُّ ألا تذكر مثل هـذه الأشياء يا

مستر فيتز ويليم .

– هل هذا يخيفك ؟

وفي بطء أومأت برأسها ثم استدارت فجأة وهي تقول :

– يجب عليّ أن أذهب الآن وإذا كنت ترغب تعال وزرنا وأظن ان والدتي تحب ان تراك لأنك تعرف أصدقاء أبي منذ زمن بعيد .

وسارت في بطء وقد حنت رأسها إلى الأمام وكأنها تحمل فوقها ثقلاً تنوء تحته ، بينما وقف لوك ينظر إليهـا وشعر بالرغبة الملحة في أن يقي ويحمي تلك الفتاة . ولكن يحميها من أي شيء ؟ وهزّ رأسه في ضيق لأنه لم يجد جواباً عن سؤاله .. ودار في خلده ان الفتاة أفضل بكثير من دكتور توماس ذلك الشيطان المتعالي الهادىء الأعصاب . وأفاق لوك من تأملاته على صوت وقع أقدام ، فرفع رأسه ليرى مستر الزورثي قادماً في الممر المؤدي إلى التل وكانت عيناه متجهتين نحو الأرض بينما كان يبتسم لنفسه . وعندما رفع الزورثي رأسه كان بالكاد أمام لوك والتقت عيناه الباسمتان في خبث بعيني لوك ، ومرت لحظة قبل أن يتذكر من الذي أمامه وفي لحظة واحدة حدث تبدل شامل على الزورثي إذ أصبحت النظرة الظاهرة في العينين نظرة شاب حدث طائش .

– أوه .. سعدت صباحاً يا مستر فيتز ويليم .

– سعدت صباحاً .. هل كنت تعجب بجمال الطبيعة ؟.

وتحركت يدا الزورثي الطويلتان الشاحبتان في حركة احتجاج وقال :

– أوه .. كلا .. كلا .. انني أكره الطبيعة فهي قاسية ، جافة ، ليس فيها خيال .. إنني أقول دائماً ان المرء لن يمكنه الاستمتاع بالحياة حتى يضع الطبيعة في مكانها الصحيح .

– وكيف تفعل ذلك ؟.

فقال الزورثي :

– هناك شتى الأساليب ، ففي مكان مثل هذا توجد عدة وسائل للتسلية

إذا كان المرء ذواقاً ولديه الجرأة .. أنا شخص أتمتع بالحياة يا مستر فيتز ويليم .

– وهكذا أنا ...

– أتعرف يا عزيزي ان التعقل هو العبء الكبير الذي لا يمكن تحمله ، إذ يجب على المرء ان يكون مجنوناً .. شاذاً .. غير عادي .. حتى يرى الحياة من زاوية جديدة جذابة ..

– إن ما تقول فيه جزء من الحقيقة .

ثم حياه لوك وسار في طريقه وهو يفكر .

– لا بد انني أتخيل أشياء لا وجود لها ، فهذا الشخص لا يعدو أن يكون حماراً .

ولكنه سار في طريقه بسرعة وهو لا يشعر بالاطمئنان ، ومضى يفكر أين هي بريدجت ؟ أهي على ما يرام ؟ لقد جاءا هنا سوياً وعاد هو وحده..وعندما استدار مع الطريق وجد نفسه في مكان معشوشب قيل له من قبل انه يطلق عليه اسم ساحة الساحرات حيث يقال ان الساحرات كن يجتمعن فيه اثناء احتفالاتهن .. وفجأة شعر بموجة من الارتياح إذ وجد بريدجت هناك جالسة وقد أسندت ظهرها إلى صخرة ، وكانت منحنية في جلستها وقد وضعت رأسها بين ذراعيها ، وسار مسرعاً متجهاً ناحيتها وقال :

– بريدجت ؟.

وفي بطء رفعت وجهها من بين يديها وشعر بالاضطراب عندما وقع ناظره على وجهها وكأنها عائدة لتوها من رحلة بعيدة وتجد صعوبة في التأقلم مع هـذه الحياة فقال لوك :

– هل أنت على ما يرام ؟.

ومضت دقيقة أو دقيقتان قبل ان تجيب وكأنها لم تعد بعد من عالمها الذي كانت تعيش فيه ، وشعر لوك ان كلماته قد قطعت شوطاً بعيداً قبل ان يصل معناها إلى من يحدثها ثم قالت :

– طبعاً أنا على ما يرام ... ولماذا لا أكون كذلك ؟.

وكان صوتها حاداً تكاد تظهر فيه نبرة العداء ، فابتسم لوك وقال :

– لا أعلم .. ولكنني شعرت بالقلق من أجلك فجأة .

– لماذا ؟

– أظن ان السبب يرجع أساساً إلى جو المآسي – الدراماتيكي – الذي أحيا فيه في الوقت الحاضر مما يجعلني أرى أشياء غير طبيعية ، فإذا غبت عني ساعة أو ساعتين فبطبيعة الحال أعتقد ان ما سأراه بعد ذلك هو جسدك ملقى في حفرة وهو ما يصلح في تمثيلية أو رواية .

فقالت بريدجت :

– إن البطلات عادة لن يلحقن بهن الموت .

– كلا .. ولكن .. وتوقف لوك في الوقت المناسب .

– ماذا كنت ستقول ؟.

– لا شيء .

وشكر العناية الالهية على أنه توقف في الوقت المناسب ، إذ ليس بمقدور شخص ان يقول لفتاة جميلة جذابة .. « ولكنك لست البطلة » وقالت بريدجت :

– ان البطلات عادة يتم خطفهن أو يسجن او يتركن لتمتن أو يتم اغراقهن في أقبية .. فهن دائماً في خطر ولكنهن لا يمتن أبداً .

فقال لوك :

– كما انهن لا يختفين اطلاقاً ..

ثم مضى يقول :

– إذن هذا هو المكان المسمى بساحة الساحرات .

– نعم .

ونظر اليها وهي جالسة وقال في رقة :

– إن كل ما تحتاجين اليه هو يد مكنسة .

– أشكرك .. لقد قال لي مستر الزورثي نفس الشيء .

فقال لوك :

– لقد قابلته منذ لحظات .

– هل تحدثت معه ؟.

– نعم وأظن انه حاول ان يضايقني .

– وهل أفلح ؟

– ان أساليبه تتميز بالطفولة ..

ثم سكت برهة وعاد يقول :

– إنه شخص غريب .. ففي لحظة يظن المرء انه لا خطر منه ، وبعد لحظة يعجب المرء ويسائل نفسه عما إذا كان الأمر غير ذلك تماماً

ورفعت بريدجت بصرها اليه وقالت

– أشعرت بذلك أنت أيضاً ؟

– إذن أنت تتفقين معي في الرأي؟

– نعم ..

وانتظر لوك قليلاً حتى قالت بريدجت :

هناك شيء غريب في هذا الشخص .. ولقد أمضيت ليلة أمس يقظى أعصر ذهني أفكر في كل شيء ، ويظهر لي انه لو كان هناك قاتل فلا بد لي أن أعرف من هو .. أعني أنه لا بد يحيا هنا .. وفكرت .. وفكرت .. ووصلت في تفكيري إلى ما يأتي .. انه لو كان هناك قاتل فلا شك انه مجنون ..

فسألها لوك وهو يتذكر ما قاله له دكتور توماس :

– أنت لا تظنين ان القاتل قد يكون عاقلاً مثلي أو مثلك ؟.

– ليس هذا الطراز من القتلة ، كما انه لا بد ان يكون هـذا القاتل مجنوناً وهذا ، كما ترى أنت ، مما جعلني أفكر في الزورثي ، فهو عدا كل الموجودين

هنا غريب الأطوار حقاً ، ولا يمكن إنكار ذلك .

فقال لوك في شك :

– هناك كثيرون مثله غريبو الأطوار ولكن لا ضرر منهم .

– نعم ، ولكني أظن انه قـــد يكون الأمر أكثر من ذلك ، فإن يديه منظرهما كريه .

– هل لاحظت ذلك ؟ غريب ! لقد لاحظت ذلك أنا أيضاً .

– من الغريب أن يديه تؤثران هذا التأثير على من يراهما ، ومع كل ذلك فلا يمكن إدانة شخص بأنه قاتل بسبب ان يديه غريبتان .

– اوه ، تماماً ، إن ما نريده هو الدليل .

فقال لوك :

– الدليل ، إنه الشيء الوحيد الذي ينقصنا .. لقد كان الرجل على غاية من الحذر .. قاتل حذر ، مجنون حذر

فقالت بريدجت :

– لقد حاولت أن اساعدك .

– أتعنين مع الزورثي ؟

– نعم ، فقد ظننت أنه ربما أمكنني الإيقاع به بدلاً منك، ولقـــد بدأت في ذلك .

– قصّي عليّ ، قصّي .

– حسناً ، يظهر أن له أصدقاء كريهين يأتون الى هنـــا بين حين وآخر للاحتفال .

– أتعنين بذلك حفلات غريبـــة ؟ أظن انهم يعبدون الشيطان ويقومون برقصات منافية للأخلاق .

– شيء من ذلك القبيل ، ومن الواضح أنهم يستمتعون بوقتهم .

فقال لوك :

— يمكنني أن أضيف الى ما ذكرته شيئاً ، وهو أن تومي بيرز قام بدور ما في أحد احتفالاتهم ، وأنه كان أثناءها يرتدي رداء أحمر

— إذن فقد كان يعرف ما يدور ؟

— نعم ، وربما يوضح ذلك سبب موته .

— أتعني أنه تحدث عما رأى ؟

— نعم ، او انه قد حاول الاستفادة من ذلك عن طريق التهديد بابتزاز الأموال .

فقالت بريدجت في تفكير :

— إنني أعرف أن كل ذلك شيء خيالي ، ولكن يبدو لي أن الأمر بخلاف ذلك إذا ما فكرنا في الزورثي .

— نعم ، أنا اوافقك ، فإن الأمر قد يصبح ممكناً في حالته بدلاً من أن يكون غير معقول .

فقالت بريدجت :

— لقد توصلنا حتى الآن الى إيجاد علاقة بين كل من تومي بيرز وآمي جيبز مع الزورثي .

— إذن ما وضع كل من صاحب الحانة وهمبلبي ؟

— حتى الآن لا توجد أية علاقة بينهما وبين الزورثي .

— هذا حقيقي بالنسبة لصاحب الحانة ، ولكنني أتصوّر الدافع لإزالة همبلبي من الطريق ، فقد كان طبيباً ، وربما يكون قد فطن الى حالة الزورثي غير الطبيعية .

— نعم ، هذا ممكن .

ثم ضحكت بريدجت وقالت :

— لقد قمت بدوري على خير ما يرام هذا الصباح، فقد ذكرت له أن إحدى جداتي كادت تحرق بسبب اتهامها بمزاولة السحر ، فوجدت أن قولي هذا قد

رفع من قدري عنـــده ، وأظن أنه سيدعوني الى المساهمة في الاحتفال القادم الذي يقيمه .

فقال لوك :

— بريدجت ، بحق السماء كوني حذرة .

فنظرت اليه في دهشة ، وهنا قال لوك :

— لقد قابلت الآن ابنة همبلي وكنا نتحدث عن مس بينكرتون ، وقالت ابنة همبلي ان مس بينكرتون كانت في قلق بشأنك .

فقالت بريدجت في صوت من لا يصدق ما سمع :

— ما هذا ؟ مس بينكرتون ، في قلق ، من أجلي أنا ؟

— هذا ما ذكرته روز همبلي .

— هل قالت روز همبلي ذلك ؟

— نعم .

— ماذا قالت أيضاً ؟

— لا شيء .

— هل أنت واثق ؟

— واثق تماماً .

ومرّت فترة صمت ختمتها بريدجت بقولها :

— فهمت .

فقال لوك :

— لقد كانت مس بينكرتون في قلق بشأن همبلي ومات.. والآن أسمع أنها كانت قلقة بشأنك .

وضحكت بريدجت ووقفت وهزّت رأسها حتى تطاير شعرها حول رأسها وقالت :

— لا تقلق ، فإن الشيطان يرعى مَن ينتمون اليه .

الفصل الحادي عشر

حياة ميجور هورتون المنزلية

استند لوك على ظهر مقعـــده الموجود في الطرف الآخر من منضدة مدير المصرف ، ثم قال :

– أشكرك كثيراً ولو أنني أخذت جزءاً كبيراً من وقتك الثمين .

فهزّ مستر جونز يده دلالة عدم الاهتمام،بينما ظهرت على وجهه الصغير الممتلىء علامات السرور وقال :

– كلا ، نحن دائماً نُسَرُّ لرؤية الغرباء .. أما هذه البقعة فهي هادئة حقاً كما رأيت يا مستر فيتز ويليم .

– إنها مكان رائع مليء بالمعتقدات .

وتنهّد مستر جونز وقال :

– إن الأمر يقتضي مزيداً من الوقت للتثقيف حتى تزول المعتقدات .

ثم قال :

– لقد أحسن لورد هويتفيلد الى هـــذه المنطقة ، فهو يدرك المساوىء التي قاسى من جرّائها وهو صبي، ويأمل ان يكون نشء الجيل الحاضر أفضل بكثير مما كان هو عليه .

– ولكن العقبات التي صادفته لم تمنعه من تكوين ثروة كبيرة .

– هذا صحيح لأن لديه مقدرة ، مقدرة كبيرة .

– أو حظ ؟

فظهر على وجهه الامتقاع وكأنه صدم ، وقال لوك :

– إن الحظ هو الشيء الوحيد الذي يحسب حسابه ، فمثلاً لو أخذنا مثالاً لقاتل وتساءلنا ما الذي يجعل قاتلاً ينجح في إتمام جريمته ولا يكتشف .. أهي المقدرة ؟ أم أن الأمر مرجعه الى الحظ فقط ؟

واعترف مستر جونز أنه ربما يكون الأمر مرجعه الى الحظ .

واستمر لوك فقال :

– خذ مثلاً ذلك الرجل كارتر صاحب إحدى الحانات هنا ، فمن المحتمل أنه كان يسكر ست ليال في كل اسبوع ، ومع ذلك ففي إحدى الليالي يذهب ويلقي بنفسه من فوق الكوبري الى النهر .. الحظ مرة اخرى .

فقال مدير البنك :

– لقد كان ذلك بمثابة حظ حسن لبعض الناس .

– تعني ؟

– بالنسبة لزوجته وابنته .

– اوه ، نعم ، طبعاً .

وطرق الباب أحد الكتبة في المصرف ودخل يحمل بين يديه أوراقاً ، وقام لوك بإعطاء صورة من توقيعه على ورقتين ، ثم تناول دفتراً للشيكات (إذن الصرف) ثم قام وقال :

– أنا سعيد إذ أنهيت كل شيء ، ولقد حالفني الحظ نوعاً ما في سباق الدربي هذا العام .. وأنت كيف كان الحظ معك ؟

فقال مستر جونز وهو يبتسم انه لا يراهن ، وأضاف ان زوجته ضد المراهنة .

– إذن لم تذهب لمشاهدة سباق الدربي ؟

– كلا .
– هل ذهب لمشاهدته أحد من هنا ؟
– لقد ذهب ميجور هورتون، فهو يهتم جداً بالسباق ، كما أن من عادة مستر آبوت أن يأخذ إجازة في ذلك اليوم ، ولو أنه لم يراهن على الجواد الفائز .
– لا أظن أن كثيراً من الناس راهنوا عليه .

ثم خرج بعد أن ودّع مدير البنك ، وأشعل سيجارة وهو يغادر المصرف ، ولم يرَ ما يدعو الى إدراج اسم مستر جونز في قائمة المشتبه فيهم ، إذ لم يظهر أي رد فعل على الأسئلة التي ألقـــاها عليه لوك ، كما كان من الصعب على المرء أن يتصور أنه القاتل .. أضف الى ذلك أنه لم يكن غائباً يوم سباق الدربي ، وبهذه المناسبة فإن زيارة لوك لم تكن بلا فائدة ، فقد حصل على نبأين صغيرين يضيفهما الى معلوماته ، وهمـــا أن كلاً من مستر آبوت وميجور هورتون كانا بعيدين عن ويتشوود في يوم سباق الدربي،وعلى ذلك فأي واحد منهما كان يمكنه أن يتواجد في لندن عندما دهمت سيارة مس بينكرتون .

ومع أن لوك لم يكن يشتبه في الدكتور توماس وقتئذٍ ، إلا أنه شعر بالراحة لو تأكد لديه أن الأخير كان في ذلك اليوم في ويتشوود يزاول مهمته ، وآلى على نفسه أن يتحقق من تلك النقطة .

ثم هناك الزورثي ، فهل كان في ويتشوود يوم سباق الدربي ؟ فإذا كان هناك فإن الافتراض بأنه القاتل يضعف، مع أن لوك كان يدرك أن احتمال موت مس بينكرتون نتيجة حادثة غير مدبرة أمر محتمل ، ولكنه كان يرفض تلك النظرية ، لأن موتها جاء في وقت يتفق ورغبات القاتل .

وركب لوك سيارته وقادهـــا حتى وصل الى حظيرة بيبويل التي كانت في نهاية شارع هاي ستريت .

كان في سيارته عدة أشياء تقتضي الإصلاح، وكان يريد أن يناقش اخصائياً فيها ، وأنصت اليه ميكانيكي شاب مليح الوجه ، ثم بدأ الاثنان يفحصان آلات

السيارة عندما سمعا صوتاً ينادي :

— جيم ، تعال هنا لحظة .

وأطاع الميكانيكي النداء .. جيم هارفي .. إنه هو .. خطيب آمي جيبز .

وعاد جيم بعد قليل وهو يعتذر ، وعاد الحديث بين الرجلين كما كان يتناول الناحية الفنية ووافق لوك على ان يترك السيارة في الحظيرة لاصلاحها ، وعندما حان وقت ذهابه سأل في لهجة عادية :

— هل كان حظك حسناً في سباق الدربي هذا العام ؟.

— كلا يا سيدي فقد راهنت على كلاريجولد .

— لا أظن ان كثيرين راهنوا على جوجوبي الثاني ؟.

— كلا يا سيدي ولا أظن ان صحيفة واحدة اختارته .

وهز لوك رأسه وقال :

— السباق أمر لا يمكن التأكد منه .. هل شاهدت السباق بنفسك يوماً ؟.

— كلا يا سيدي وأود لو رأيته .. وقد طلبت إجازة هذا العام لأنه كانت توجد تذكرة رخيصة للذهاب إلى لندن ومنها إلى ميدان السباق في أبسوم ، ولكن صاحب العمل لم يوافق لأن عندنا نقصاً في الأيدي العاملة وكان لدينا كثير من العمل في ذلك اليوم .

وأومأ لوك برأسه ثم ذهب في طريقه بعد أن قام برفع جيم هارفي من قائمة المشتبه فيهم وسار إلى المنزل في طريق النهر ، وهنا أيضاً صادف ميجور هورتون وكلابه وكان الميجور على نفس الحالة التي رآها عليه في المرة السابقة ونعني بذلك انه كان يصيح في كلابه ، ومرة أخرى حدق الميجور في لوك ولكنه أضاف هذه المرة قائلاً :

— معذرة .. انت مستر فيتز ويليم .. أليس كذلك ؟.

— أنا هورتون .. ميجور هورتون .. وأظن انني سأقابلك غداً في مانور آسن في مباراة التنس التي دعتني إلى حضورها مس كونواى .. إنها ابنة عم لك

أليس كذلك .

– بلى ..

– لقد ظننت ذلك ..

وسار الرجلان معاً بينما مضى ميجور هورتون يتحدث في موضوع الكلاب وخاصة البولدوج حتى وصلا إلى بوابة منزل الميجور وفتح الباب الذي لم يكن مغلقاً ، ودخل الاثنان المنزل ووصلا إلى حجرة تنبعث منها رائحة الكلاب وممتلئة بأرفف الكتب ، وانهمك الميجور في إعداد شراب لهما بينما مضى لوك ينظر فيما حوله فوجد الحوائط عليها صور الكلاب وصورة مرسومة لسيدة فوق المدفأة ، ورفع الميجور رأسه فوجد ضيفه ينظر اليها فقال :

– إنها صورة زوجتي .. لقد كانت امرأة ممتازة ووجهها يدلُّ على أخلاق قوية .. ألا تظن ذلك ؟.

– نعم حقاً ..

قالها لوك وهو ينظر إلى صورة المرأة المتوفاة ..

فقال الميجور :

– لقد كانت ممتازة .. ماتت منذ أكثر من عام ومن وقتها وأنا على غير ما كنت عليه من قبل .

– لماذا ؟.

فقال الميجور وهو يناوله كأس شراب :

– اجلس..

بينما جلس هو على مقعد آخر ومضى يرشف الويسكي بالصودا .

– كلا .. لم أعد كما كنت من قبل .

– لا بد انك تفتقدها ؟.

– إن المرء يحتاج إلى زوجة تدفعه وإلا أصبح خاملاً وتهاون .

– ولكن ...

– يا ولدي ، إنني أعرف مـــا أتحدث عنه .. وتذكـّر أنني لا أنكر أن الزواج يسبب ضيقاً للمرء في أول الأمر ، فإنه يلعن نفسه وينعي أنه أصبح مقيداً ولكنه بعد فترة يعتاد الأمر .. والنساء جنس عجيب ، إذ أحياناً يخيل للمرء أنه لا فائدة من محاولة إسعادهن ، ولكن – الحق والحق يُقـال – إنهن يخلقن منا رجالاً .. هل أنت متزوج ؟

– كلا .

– حسناً ، ستصبح يوماً ما .. وتذكـّر أنه لا يوجد شيء مثل الزواج .

فقال لوك :

– مما يسعد المرء أن يسمع إنساناً يمدح الحياة الزوجية ، وخاصة في مثل هذا الوقت الذي أصبح فيه الطلاق أمراً سهلاً .

فقال الميجور :

– إنني أرثي لهذا الشباب الذي لا يتصف بالعزيمة ولا بالتحمل للمسؤولية ، وتذكـّر أن ليديا كانت واحدة في الألف ، واحدة في الألف .. فكل فرد هنا كان يحترمها ويبجلها .

– كذا ؟

– لقد كانت لا تتحمل الهراء ، وكان من عادتها أن تنظر الى الشخص فإذا به ينكمش أمام نظرتهـــا ، مثل هؤلاء الفتيات الخادمات اللاتي يظنن أن الفرد سيتحمل وقاحتهن ، ولكن ليديا أعطتهن درساً . أتعرف أننـا استبدلنا خمس عشرة شغالة وطاهية في مدى عام واحد ؟

– هل كان الحال دائماً هكذا .. أي تطردونهن ؟

– بطبيعة الحال خرج البعض باختيارهن ، ولكن ليديا لم تهتم .

– ولكن ألم تجدا في الأمر مشقة ؟

– اوه ، أنا شخص لا أبالي إذا قمت بعمل شيء ، فأنا طاهٍ ماهر ، كما أنني لم أكن أرغب في إرهاق ليديا لأنها كانت رقيقة .

– إذن فقد كانت غير قوية .

وهزّ ميجور هورتون رأسه وقال :

– لقد كانت تتمتع بروح عالية ولم ترضَ بأن ترقد فريسة المرض .. لقد علنت تلك المرأة ما عانت ، ومع ذلك لم تجد من الأطباء شفقة ، فهم قساة لا يعرفون شيئاً سوى الآلام الجسمانية وأي شيء غير عادي لا يفهمون عنه شيئاً . فمثلاً همبلي يظهر أن كل فرد كان يظن أنه طبيب بارع .

– أنت لا توافق على ذلك .

– لقد كان الرجل جاهلاً حقاً لا يعرف شيئاً عن الاكتشافات الحديثة ، وأشك في أنه سمع – مجرد سماع – عن الحالات النفسية . لقد كان يعرف الحصبة والغدد الدرقية والعظام المكسورة على ما أظن ، ولكن لا شيء غير ذلك ، وفي النهاية تشاجرت معه لأنه لم يعرف حالة ليديا على الإطلاق ، فأخبرته برأيي عنه في صراحة فلم يُرضِه هذا وغضب وقال لي انني حر في استدعاء أي طبيب آخر أختاره ، وبعد ذلك أحضرنا الدكتور توماس .

– هل كان أفضل من الأول ؟

– على وجه الإجمال كان أبرع من همبلي ، وإذا كان في مقدور أحد أن يشفيها من مرضها الأخير لكان الدكتور توماس هو ذلك الشخص ، وفي الواقع انها بدأت في التحسن ولكن حدثت لها نكسة مفاجئة .

– أكان الأمر مؤلماً ؟

– نعم ، آلام حادة ، وقيء ، وما شابه ذلك .. لقد تعذبت تلك المرأة المسكينة .. إنها تعدّ شهيدة .. والممرضتان الموجودتان في المنزل لم تظهرا أية ذرّة من الشفقة ، حتى أن ليديا اتهمتها بتسميمها ، وطبعاً هذا غير صحيح ، لأن كثيراً من المرضى يتخيلون ذلك كما ذكر لي الدكتور توماس ، وإن كان واقع الأمر يدلّ على أن هاتين الممرضتين كانتا تكرهانها .

فقال لوك :

– أظن أن مسز هورتون كان لها أصدقاء كثيرون هنا .

– كثير من الناس كانوا في غاية الرقة ، فمثلاً لورد هوايتفيلد كثيراً ما أرسل لها عنباً وخوخاً من حديقته ، كما أن بعض السيدات كنّ يحضرن للجلوس معها مثل هونوريا وينفليت ولافينيا بينكرتون .

– هل كانت مس بينكرتون تحضر كثيراً ؟

– نعم ، عانس عجوز ولكنها مخلوقة رقيقة ، وكانت في أشد القلق على ليديا ، وكان من عادتها السؤال عن غذائها وأدويتها .. وهو إن دلّ على اهتمام الا أنه فضول لا داعي له .

فهزّ لوك رأسه مدركاً قصد الرجل الذي مضى يقول :

– وأنا لا أتحمل الجلبـــة .. إن هذا المكان مليء بالنساء ، حتى أنه من الصعب على المرء الاستمتاع بلعب الجولف .

فسأله لوك :

وماذا عن ذلك الرجل الذي يمتلك حانوتاً للعاديات ؟

فأخرج الميجور هورتون صوتاً يدلُّ على الاستهزاء وقال :

– إنه لا يلعب الجولف ، ومظهره أقرب الى الأنوثة .

– هل مضى عليه وقت طويل في ويتشوود ؟

– حوالي عامين .. وهو شخص كريه ، ومن الغريب أن ليديا كانت تحبه ، ومن ذلك تعرف أنه لا يمكنك أن تثق برأي أية امرأة في الرجال ، حتى أنهـا صممت على أن تتنـــاول بعضاً من العقاقير التي يقوم بتحضيرها ، وهي مادة وُضعت في زجاجة قرمزية رُسم عليها من كل جـــانب علامات البروج ، ومن المفروض أنهـا مكوّنة من عصارة بعض الأعشاب التي تمّ قطفهـــا والقمر بدراً .. كلام فارغ ، ولكن النساء يصدقن ذلك . وأعترف أنها تناولت ذلك العقار كله .

وأدار لوك دفة الحديث وهو يأمل ألا يلحظ ذلك الميجور هورتون ، وكان محقاً في ظنه :

– ما رأيك في هذا المحامي المدعو آبوت ؟ هل يعرف القانون جيداً ؟ لأنني أرغب في استشارة قانونية وأفكر في الذهاب اليه .

فقال الميجور هورتون :

– يقولون أنه ذكي جداً ولكنني لا أعرف الحقيقة، والواقع أنني تشاجرت معه ولم أرَه منذ جاء الى هنا لكتابة وصية ليديا قبل موتها مباشرة ، وفي رأيي أنه جبان ، ولكن هذا لا يعني المساس بقدرته كمحامٍ .

فقال لوك :

– طبعاً لا .. ويبـــدو لي أنه شخص مشاكس ، والظاهر أنه تشاجر مع كثيرين هنا على حسب ما سمعت .

فقال الميجور هورتون :

– إن مشكلته في أنه شديد الحساسية ، ويظن أنه لا يوجد مثله في الذكاء ، وأي شخص يختلف معه في الرأي يعتبره أهـان الذات الملكية .. هل سمعت عن شجاره مع همبلي ؟

– هل تشاجرا معاً ؟

– شجار من الطراز الأول ، وهذا لا يدهشني فقد كان همبلي حماراً .

– لقد كان موته أمراً مؤسفاً .

– همبلي ؟ نعم ، أظن ذلك .. تقاعس في العناية المعتادة .. التسمم الدموي أمر خطير ، والواجب وضع صبغة اليود على أي جرح .. هكذا أفعل .. وهو احتياط بسيط .. ولكن همبلي الطبيب لا يفعل شيئاً مثل هذا .. وهذا يفصح عن غبائه .

ونظر لوك الى ساعته فقال الميجور هورتون :

– هل ستذهب لتناول غدائك ؟ حسناً ، لقـد سررت بالتحدث معك ..

ولا بد أن نجتمع مرة اخرى .. قل لي ، هل تكتب كتاباً عن المعتقدات وما أشبه ذلك ؟

— نعم ، أنا ...

فقاطعه الميجور قائلاً :

— يمكنني أن أقصّ عليك كثيراً من الأشياء المثيرة .. فعندما كنت في الهند يا ولدي ...

وبعد عشر دقائق نجح لوك في الخلاص من الاستماع الى قصص الفقراء الهنود وحيلة الحبل الذي يرتفع في الهواء ، الخ ...

وعندما خرج لوك الى الهواء الطلق وسمع صوت الميجور الأجش وهو يصيح في كلابه ، عجب مما سمعه منه عن الحياة الزوجية ، إذ يظهر أنه حقاً يأسف على فقد الزوجة التي أجمع الكل على أنها كانت شرسة شراسة تقرب من شراسة النمر ، وساءل نفسه ـ فجأة ـ عما إذا كان كل ما سمعه من الميجور ليس إلا تمويهاً بارعاً .

الفصل الثاني عشر

جس النبض

من حسن الحظ ان الجو كان حسناً في عصر اليوم المحدد للعب التنس ، وكان اللورد هوايتفيلد في حالة نفسية جيدة وهو يقوم بدور المضيف مظهراً غبطته ، وأشار مراراً إلى أصله البسيط وكان عدد اللاعبين ثمانيــة وهم : لورد هوايتفيلد وبريدجت ولوك وروز همبلي ومستر آبوت ودكتور توماس وميجور هورتون وهيتي جونز ، وهي فتاة دائمة الضحك وابنة مدير البنك .

وفي الشوط الثـــاني وجد لوك نفسه زميلاً لبريدجت في اللعب ضد لورد هوايتفيلد وروز همبلي ، وكانت روز لاعبة جيدة سبق لها اللعب في المباريات ، وبذلك عوضت بلعبها الأخطاء التي كان يقع فيها لورد هوايتفيلد ووصل الشوط إلى نتيجة ٥ إلى ٣ لصالح لوك وبريدجت وعندئذ لاحظ لوك أن لورد هوايتفيلد بدأ يفقد أعصابه ويتصرف مثل الأطفال ، واستمر اللعب ولكن لوك لاحظ ان بريدجت بدأت تخطىء عامدة في رمي الكرة حتى انتهى الشوط بفوز اللورد وزميلته بنتيجة ٨ إلى ٦ .

وبعد ذلك ثار جدل حول اللاعبين في الشوط التالي ، وانتهى الأمر إلى ان تلعب روز مع مستر آبوت ضد دكتور توماس ومس جونز ، وجلس اللورد

هوايتفيلد وهو يجفف عرقه ويبتسم في سرور وقد عاد إليه مرحه وبدأ يتحدث مع ميجور هورتون عن سلسلة من المقالات بدأت بنشرها إحدى صحفه والتفت لوك ناحية بريدجت وقال :

– هلا أريتني حديقة الخضراء ؟.

– ولماذا تريد مشاهدة الخضراوات ؟

– لأنني أحب الكرنب .

– ألا تكتفي بالبسلة ؟.

– حسناً .

وسارا حتى وصلا إلى حديقة الخضرة التي كانت خالية من الذين يعملون عادة فيها ، وأشارت بريدجت إلى البسلة وقالت :

– ها هي ذي شجيرات البسلة .

ولم يعر لوك البسلة أي اهتمام بل قال :

– لماذا تعمدت ان تخسر الشوط ؟.

وارتفع حاجبا بريدجت قليلاً ثم قالت :

– أنا آسفة .. ولكني تعبت كما أنني لا أحسن لعب التنس .

– ليس إلى هذا الحد وما فعلته لا يخدع طفلاً .

– حسناً يا عزيزي واطسون .

– وما السبب الذي دفعك إلى ذلك ؟.

– السبب واضح أيضاً .. فجوردون لا يحب الهزيمة .

– وماذا أعني أنا .. لنفترض انني أحب ذلك .

– أظن يا عزيزي لوك ان ذلك لا يستوي في الأهمية .

– هلا أوضحت قليلاً ما تعنيه بقولك هذا ؟.

– طبعاً إذا شئت ذلك .. على المرء ألا يتشاجر مع رب نعمته وجوردون هو رب نعمتي لا أنت .

وجذب لوك نفسه بشدة ثم انفجر صائحاً :

— ماذا تعنين بزواجك من هذا الرجل القصير الكريه .. لماذا تفعلين ذلك؟

— لأنني كسكرتيرة له أتقاضى ستة جنيهات في الأسبوع ، أما إذا صرت زوجته فإني سيكتب لي مـــائة ألف من الجنيهات بالاضافة إلى علبة مليئة بالجوهرات من الماس واللالىء إلى غير ذلك من مستلزمات الحياة الزوجية .

— لتقومي بواجبات أخرى مختلفة .

فقالت بريدجت في برود :

— هل يجب علينا ان نتخذ هذا التصرف الدراماتيكي بالنسبة لكل شيء في الحياة ؟. إذا كنت تتصور جوردون رجلا يقدر الحيـــاة الزوجية ، فأنت مخطىء فليس جوردون إلا طفلا صغيراً لم ينضج بعد تماماً وما يحتاج اليه هو أم وليس زوجة ، ومما يؤسف له ان والدته ماتت وعنده من العمر أربع سنوات وهو يحتاج إلى شخص بالقرب منه يفخر به .. شخص يبعث في نفسه الثقـة ويستمع دائماً إليه وهو يقص كيف صنع نفسه بنفسه .

— إن لك لساناً مريراً .. أليس كذلك ؟.

فردت عليه بريدجت في حدة :

— إنني لا أخدع نفسي بالخيالات إذا كان ذلك ما تعنيه .. فأنا فتاة صغيرة السن على قدر ما من الذكاء والملامح العادية وبدون نقود وأنا أزمع أن أحيا حيـــاة شريفة . وستكون مهمتي كزوجة لجوردون لا تفترق عن وظيفتي كسكرتيرة له وأشك في انه سيتذكر بعـد عام واحد ان عليه ان يقبلني قبلة المساء ، وكل الخلاف هو في المرتب .

ونظر كل منهما إلى الآخر .. ووجهـه في شحوب من الغضب وقالت بريدجت :

أنت رجل رجعي في أفكاره.. أليس كذلك ؟ ألن تقول انني أبيع نفسي من أجل المال ؟

فقال لوك :

ـ ما أنت إلا شيطان صغير ذو دم بارد .

ـ هذا أفضل من ان أكون غبية صغيرة ذات دم حار .

ـ كذلك ؟

ـ نعم .. وأنا أدرى .

فقال لوك ساخراً :

ـ تدرين ماذا ؟.

ـ أعرف معنى الاهتمام برجل .. هل قابلت جوني كورنيش ؟ لقد كنت مخطوبة له لمدة ثلاثة أعوام وكنت أكاد أعبده .. وكنت أهتم به إلى درجة تؤلمني .. حسناً .. لقد تركني ليتزوج من أرملة ممتلئة الجسم ، ولكن دخلهـا السنوي يقدّر بثلاثين ألفاً .. مثل هذا العمل يشفي الانسان من الغرام .. أليس كذلك ؟.

واستدار لوك وقد صدرت من فمه آهة وقال :

ـ ربما .

ـ لقد حدث ..

وسادت فترة صمت طويل قطعتها بريدجت بقولها :

ـ آمل ان تدرك أنه ليس لديك أي حق في التحدث معي كما فعلت فأنت تنزل ضيفاً على جوردون .

ـ ان لي كل الحق .

ـ هراء

ونظر لوك إليها وقد اصطبغ وجهه بلون غريب وكأنه يعاني ألماً جسمانياً وقال :

ـ إن لي الحق .. لي الحق في ان أهتم بك .. لقـد قلت الآن ان الاهتمام الشديد يسبب ألماً .

وتراجعت بريدجت خطوة إلى الوراء وقالت :

– أنت ...

– نعم .. أمر غريب .. أليسَ كذلك .. مثل هذا الشيء قد يدفعك إلى الضحك .. لقد جئت إلى هنا لأقوم بعمل فجئت أنت وسحرتيني .. هـذا ما أشعر بـه .. إنني أشعر انك لو أشرت بأصبعك إليّ وقلت لي ان أتحول إلى ضفدعة لتحولت بسحرك إليها ، واقترب منها خطوة وقال :

– إنني أحبك حباً عميقاً يا بريدجت كونواي .. وإذا كنت أحبك بهذا القدر فلا تتوقعي مني ان أسر وأنا أراك تتزوجين من رجل ذي لقب ممتلىء بالغرور وله كرش ، ويفقد أعصابه إذا لم يفز في لعب التنس .

– ماذا تقترح عليّ ان أعمله ؟

– أقترح ان تتزوجيني بدلاً منه ، ولكن بدون شك سيؤدي هذا الاقتراح إلى موجة من الضحك .

– من المؤكد ان الضحك سيكون عالياً .

– تماماً .. والآن قد عرف كلانا موقفه ، ألا نعود إلى ملعب التنس ؟. وربما تجدي هذه المرة ذلك أنني سأكون شريكاً يلعب ليفوز !.

فقالت بريدجت في رقة :

– حقاً .. أنا أعتقد انك لا تحب الهزيمة مثل جوردون .

وفجأة أمسك لوك بكتفيها وقال :

– إن لك لساناً لاذعاً يا بريدجت .

– أظن انك لا تحبني كثيراً يا لوك ، مهما كان قدرك عاطفتك نحوي

– لا أظن انني أعجب بك إطلاقاً .

فقالت بريدجت وهي ترقبه .

– هل كنت تنوى الزواج والاستقرار عندما عدت إلى الوطن .. أليسَ كذلك ؟.

– بلى ..

– ولكن لم يكن في ظنك الزواج من فتاة مثلي .

– لم يدر بخلدي قط الزواج من فتاة مثلك .

– أعرف ذلك .. انني أعرف النوع الذي تفضله .

– أنت فتاة ذكية جداً يا عزيزتي بريدجت .

– كنت تفكر في فتـــاة ظريفة .. انجليزية قلباً وقالباً .. تهوى الريف وتعامل الكلاب معاملة حسنة .. ومن المحتمل انك كنت تتخيلها في رداء من التويد وهي تقلب الخشب في المدفأة بحرف حذائها .

– إن وصفك رائع وجذاب .

– أنا متأكدة من ذلك ، والآن هلا عدنا إلى ملعب التنس ويمكنك ان تلعب مع روز همبلي وهي تجيد اللعب ، وعلى ذلك تكون واثقاً من فوزك .

– نظراً لأنني رجل رجعي فإنني سأدع الكلمة الأخيرة لك .

ومرة أخرى مرت فترة صمت ، ثم جذب لوك يديه ببطء من فوق كتفيها ووقفا وكأن بينهما شيئاً لم يفحصا عنه ، ثم استدارت بريدجت فجأة وعادت إلى ملعب التنس وخلفها لوك ..

وبعد انتهاء اللعب تناول الحاضرون الشاي وجلس لورد هوايتفيلد يتحدث إلى الدكتور توماس في حرارة عن زيارة قام بها حديثاً لمعامل أبحاث ويلرمان كرايتز وقال :

– لقد أردت ان أعرف كل شيء عن الاتجاهات الحديثة للاكتشافات العلمية إذ انني أعدُّ نفسي مسئولاً عما ينشر في صحفي ، فهذا عصر العلوم وعلى العلم ان يكون مبسطاً حتى تعرفه العامة .. ولقد أمسك بيدى ويلرمان نفسه وجلنا في معامله ، وقد رجوته ان يوكل تلك المهمة إلى أحد مساعديه ، ولكنه أصرّ على ان يصحبني بنفسه .

فقال لوك :

– طبعاً .

وهنا نظر اليه لورد هوايتفيلد نظرة امتنان ثم قال :

– وشرح لى كل شيء بوضوح تام .. ووافق على ان يقوم هو نفسه بكتابة أول مقال في سلسلة المقالات العلمية التي ستنشر .. وبعد فترة قامت روز همبلي واستأذنت في الانصراف ، فوقف لوك بجانبها وقال :

– هل تسمحين لي بمرافقتك إلى المنزل ؟

فقالت له :

– لا مانع لدى والمنزل قريب ..

وسارا حتى وصلا إلى المنزل وهما يتحدثان في شتى المواضيع ، وفجأة قال لوك :

– مس همبلي .. هل تسمحين لي بالتطفل ..

– أنا متأكدة لن تكون متطفلاً .

– لا تكوني واثقة من نفسك هكذا .. إنني أردت ان أقول ان الدكتور توماس رجل سعيد الحظ جداً .

واحمر وجه روز خجلاً وابتسمت وقالت :

– إذن أنت سمعت ؟.

– هل كان من المتعين ان يبقى الأمر في طي الكتمان ؟.. أنا آسف .

– أوه .. لا يوجد سر في هذا المكان ..

– إذن حقيقي انكما مخطوبان ؟

فأومأت برأسها وقالت :

– فقط .. الآن .. لن نعلن تلك الخطوبة رسمياً .. إذ ان والدي كان معارضاً إياها ، ومن غير اللائق إعلانها عقب موته مباشرة .

– هل كان والدك غير موافق ؟.

– حسناً .. ليس غير موافق بالضبط .. ولكن أظن انه يمكن وصف

معارضته لها بذلك الوصف .

— هل كان يظن أنكما صغيران جداً ؟.

— هذا هو ما قاله .

— ولكنك تظنين ان هناك سبباً غير ذلك ؟.

فحنت روز رأسها وقالت :

— نعم .. أظن ان السبب يرجع إلى ان أبي لم يكن يحب جيوفرى .

— هل كانا في شقاق ؟.

— يظهر ان الأمر كان كذلك أحياناً .. وبالطبع كان أبي عجوزاً ذا أهواء وميول .

— وأظن انه كان يحبك جداً ، وكان لا يحب فكرة فقدانه إياك ؟.

ووافقت روز على ذلك فقال لوك :

— أم ان الأمر كان أكثر من ذلك ؟ هل كان مصمماً على ألا يكون توماس زوجاً لك .

— كلا .. لقد كان أبي وجيوفرى يختلف كل منهما عن الآخر كل الاختلاف وفي بعض الأحيان كانا يتشاجران وكان جيوفرى صبوراً ، ولكن شعوره بعدم محبة أبي إياه جعله يتحفظ أكثر من عادته ، ومن ثم فإن أبي لم يعرفه على حقيقته .

فقال لوك :

— من الصعب التغلب على الميول .

— تماماً .

— ألا يوجد سبب واضح لذلك ؟.. هل يسكر جيوفرى أو يراهن على الجياد ؟.

— كلا ولا أظن انه يعرف أي الجياد فاز في سباق الدربي .

— هذا غريب لأنني أكاد أقسم انني رأيت دكتور توماس في أبسوم يوم

سباق الدربي .

وأجابت روز :

– أنت ظننت أنك رأيت جيوفرى في سباق الدربي ؟ كلا .. لم يكن في مقدوره الذهاب ، كما انــه كان في آشولد طول النهار تقريباً ليفحص حالة وضيع .

– إن لك ذاكرة قوية .

وضحكت روز وقالت :

– إنني أذكر ذلك لأنه قال لي ان الوالدين أطلقا على المولود اسم جوجوبي وعلى كل حال فإن جيوفرى لا يذهب إلى السباق ، لأنه يشعر بضجر شديد إذا ما ذهب إلى هناك .

ثم أضافت قائلة :

– هلا دخلت معي .. أظن ان والدتي ترغب في رؤيتك .

ووافق لوك ودخلا حجرة كانت تجلس فيها سيدة على مقعد خاطبتها روز بقولها :

– أمي .. هذا هو مستر فيتز ويليم .

وصافحت السيدة لوك ، بينما غادرت روز الغرفــة في هدوء .. وقالت السيدة .

– أنا سعيدة لرؤيتك يا مستر فيتز ويليم .. لقد قالت لي روز انك تعرف أصدقاء كانوا يعرفون زوجي من سنوات كثيرة مضت .

– نعم يا مسز همبلبي ..

– كم كنت أود لو انك قابلته ، فلقد كان رجلا طيباً وطبيباً عظيماً ، ومنّ الله بالشفاء لكثير من المرضى الذين يئسوا من الشفاء على يديــه وذلك بقوة شخصيته .

فقال لوك في رقة :

– لقد سمعت الكثير عنه منذ حضرت إلى هنا .

وبعـــد انقضاء فترة تخللها الحديث عن الدكتور همبابي ، استأذن لوك وصافحها مودعاً وسار متجهاً إلى حيث يقيم .. وفي الطريق دار في خاطره ان دكتور توماس لم يكن موجوداً في ويتشوود جزءاً كبيراً من يوم سباق الدربي ، كما انه كان يقود سيارته وان ويتشوود على مسافة ٣٥ ميلاً من لندن، فإذا افترضنا أنه كان يعالج حالة وضيع، فهل هناك ما يؤيد ذلك غير كلمته.. من المفروض انه يمكن التحقق من ذلك ..

الفصل الثالث عشر

مس وينفليت تتحدث

في صباح اليوم التالي استقر رأي لوك على أمر . فقد شعر انه قد وصل إلى النهاية في تحرياته التي قام بها بطريقـة غير مباشرة ، وانه إنَ عاجلاً أو آجلاً سيتحتم عليه ان يظهر على حقيقته ، كما شعر بأنه من الأفضل له الآن ان يفصح عن حقيقة مهمته .

وتحقيقاً لتلك الخطة قرر ان يزور هونوريا وينفليت التي لم تؤثر عليه تأثيراً حسناً فحسب ، بل كان يظن ان لديها بعض المعلومات التي قـد تفيده ، فأراد ان يدفعها إلى ان تقول له ما قد يكون دار في خميلتها ، وكانت لديه فكرة في ان ما يراود ظنها قد يكون قريباً من الحقيقة ، ولذا ذهب إلى منزلهـــا عقب الانتهاء منالقداس في الكنيسة فقابلته مس وينفليت مقابلة عادية بدون ان تظهر أية دهشة لزيارته،وجلست بجواره وهي تنظر إليه بعينيها اللتين تتميزان بالذكاء حتى شعر بصعوبة في شرح السبب الذي من أجله جاء لزيارتها وقال :

— أظن انك قد استنتجت يا مس وينفليت ان سبب حضوري إلى هنا ليس فقط لكتابة كتاب عن المعتقدات المحلية ؟.

ولم ترد مس وينفليت ، بل أمالت رأسها قليلاً ومضت تستمع إلى مـــا

يقوله لوك .

– لقد جئت هنا لأتحرّى عن الظروف التي ماتت فيها تلك الفتاة المسكينة آمي جيبز .

فقالت مس وينفليت :

– هل تعني بذلك ان البوليس قد أرسلك ؟

– أوه .. كلا .. أنا لست مخبراً سرياً ..

– آه .. عرفت .. إذن بريدجت كونواي هي التي استدعتك ؟

وتردد لوك لحظة ثم قرر ان يتركها على ظنها – في الوقت الذي قرر فيه ان اغفاله لذكر مقابلته مع مس بينكرتون سيكون من الصعب عليه ان يبرر سبب حضوره – واستمرت مس وينفليت تقول في صوتها الرقيق :

– إن بريدجت عملية جداً وذات كفاية، ولو كان قد ترك الأمر لي لما وثقت في أي قرار أتخذه.. أعني بذلك انك إذا لم تكن واثقاً كل الثقة من شيء ، فمن الصعب ان تحدد بدقة ما يجب عليك اتخاذه .

– ولكنك واثقة .. أليس كذلك ؟.

– الحقيقة لا يا مستر فيتز ويليم .. إنه أمر لا يمكن للمرء ان يكون واثقاً فيه أعني .. ان الأمر قد لا يعدو تخيلات ، فالمرء إذا عاش وحيداً ليس بجواره من يتحدث إليه ويستشيره ، فإن من السهل ان يتصور أشياء لا أساس لها من الحقيقة .

ووافق لوك على ذلك القول ولكنه أضاف قائلاً :

– ولكنك واثقة في قرارة نفسك ؟.

وهنا أظهرت مس وينفليت بعض التمنع ، فقال لوك :

– انت تريدين مني ان أتحدث بصراحة ؟ حسناً..هل تظنين ان آمي جيبز قد قتلت ؟.

– انني لا أشعر قط بالسعادة لموتها والموضوع كله ، في نظري ، غير

مرض إطلاقاً .

— ألا تظنين ان موتها كان طبيعياً؟

— نعم ..

— أو انه كان نتيجة حادث ؟.

— أرى ذلك غير محتمل إلى درجة بعيدة فهناك كثير ...

وقاطعها لوك قائلاً :

— ألا تظنين ان الحادث كان انتحاراً ؟.

— نعم ..

فقال لوك في رقة :

— إذن انت تظنين ان الموت كان نتيجة جريمة قتل ؟.

وترددت مس وينفليت قليلاً ثم قالت في شجاعة ؟

— نعم .. أظن ذلك .

— حسناً .. الآن يمكننا ان نتقدم .

— ولكنني في الواقع لا أملك أي دليل أقيم عليه اعتقادي هـذا ، والأمر كله لا يعدو مجرد فكرة .

— حسناً .. وهذه محادثة خاصة غير رسمية ، فنحن نتحدث فقط عما نظنه وعمن نشتبه فيه ، فنحن نشتبه في ان آمي جيبز قـد قتلت فمن الذي نظنه قد قتلها ؟

فهزّت مس وينفليت رأسها وكان يبدو عليها الارتباك ، فقـال لوك وهو يرقبها :

— من الذي لديه سبب يدعو إلى قتلها ؟.

فقالت مس وينفليت في بطء :

— أظن انهـا تشاجرت مع خطيبها جيم هارفي الذي يعمل في حظيرة السيارات ، وأنا أعرف ان المرء يقرأ في الصحف عن شبان يهاجمون الفتيات

اللاتي يحبونهن وما أشبه ذلك ، ولكنني في الواقع لا أظن ان جيم يفعل شيئاً مثل هذا .

فأومأ لوك برأسه بينما استمرت تقول :

ـ أضف إلى ذلك أنني لا يمكنني ان أصدق انه يرتكب ذلك الجرم بتلك الطريقة ، أي يتسلق النافذة ويستبدل بزجاجة شراب السعال زجاجة طلاء القبعات فلا أظن ..

وهنا سارع لوك إلى تكملة حديثها قائلاً :

ـ إن ذلك العمل يرتكبه عاشق غاضب وأنا أوافقك على ذلك ، وفي رأيي اننا يمكننا استبعاد جيم هارفي تماماً ، فقد قتلت آمي بواسطة شخص أراد ان يزيحها من الطريق ، فأعدّ خطته بدقة حتى تبدو كأنها مجرد حادثة ، والآن هل لديك أية فكرة أو مجرد شعور عمن يكون ذلك الشخص ؟

ـ كلا .. ليست لديّ أدنى فكرة .

ـ هل أنت متأكدة ؟

ـ كلا .. كلا حقاً .

ونظر لوك اليها وهو يفكر . فقد كان إنكارها لا يتميز بالصدق وقال :

ـ ألا تعرفين أي دافع قد يدعو إلى قتلها ؟.

ـ نعم ..

ـ هل اشتغلت في عدة أماكن في ويتشوود ؟.

ـ لقد عملت لدى أسرة هورثون مدة عام ، قبل ان تذهب للعمل عند لورد هوايتفيلد .

ـ هل تسمحين لي ان أجرب تسلق النافذة ؟.

ـ أظن انها فكرة سديدة .

ثم قادته إلى الخارج عن طريق الباب الجانبي ، واتجهت به إلى الخلف حيث الحديقة وتسلق لوك السطح بلا أدنى مشقة ، ومن ذلك المكان أمكنه في يسر

وسهولة ان يرفع زجاج نافذة الفتاة إلى أعلى ، ثم دفع بنفسه إلى داخل الحجرة ، وبعد دقائق قليلة كان قـــد عاد للاجتماع بمس وينفليت وهو يمسح يديه في منديله ويقول :

– الواقع ان الأمر أسهل مما يتصور المرء ، فكل ما تدعو الحاجة اليه هو قليل من العضلات .. وبهذه المناسبة ألم توجد آثار من الخارج

فهزّت مس وينفليت رأسها وقالت :

– لا أظن ذلك وبالطبع فإن الكونستابل تسلق النافذة من هذا الطريق .

– وهكذا حتى في حالة وجود آثار في الأصل فسيظن انه هو الذي تركها .

ومرة اخرى عادت مس وينفليت إلى مسكنها يتبعها لوك الذي سألها :

– هل كانت آمي جيبز تنام نوماً عميقاً ؟

فردّت مس وينفليت في برود :

– كان من الصعب جداً إيقاظها في الصباح ، وأحياناً كنت اكرر القرع على بابها مرات وأنادي بها قبل ان تردّ عليّ .

– حسناً والآن نأتي إلى السؤال الخاص بالدافع – وهو أكثر وضوحاً – فهل تظنين انه كان يوجد شيء بين ذلك الشخص المدعو الزورثي والفتـــاة ؟. وأنا أسألك فقط عن رأيك ولا شيء أكثر من ذلك .

– إذا كان الأمر لا يعدو رأيي فإنني أقول نعم ..

– وفي رأيك هل تظنين ان الفتاة آمي كانت تبتز أمواله بالتهديد ؟

– مرة اخرى أقول انه أمر محتمل جداً .

– هل تعرفين ما إذا كانت تملك قدراً كبيراً من المال وجد في حوزتهـــا عند موتها ؟

وفكرت مس وينفليت ثم قالت :

– لا أظن ذلك فإنها إذا كانت تملك قدراً غير عادي من المال ، فأظن انني كنت علمت بذلك .

- إذن ذلك يعني استبعاد فكرة ابتزاز المال عن طريق التهديد ، فالضحية تدفع عادة قبل ان تقرر الالتجاء إلى أقصى الطرق للتخلص من التهديد. وهناك نظرية اخرى هي ان الفتاة ربما كانت تعرف شيئاً .

- أي شيء تعنيه ؟

ربما وصلت إليّ معلومات خطيرة بالنسبة لشخص آخر في ويتشوود - ولنفترض مجرد افتراض - انها قد عملت في منازل محترمة هنا ، وتوصلت إلى معرفة شيء يسبب ضرراً لمستر آبوت من ناحية العمل مثلاً .

- مستر آبوت ؟.

فأسرع لوك يقول :

- أوَ مِنَ المحتمل ان يكون ما وجدته شبه إهمال او سلوك لا يتفق وكرامة المهنة عند دكتور توماس مثلاً .

فقالت مس وينفليت :

- ولكن من المؤكد ...

ثم توقف فاستمر اوك يقول :

لقد قلت ان آمي جيبز عملت كخادمة في منزل هورثون في الوقت الذي توفيت فيه مسز هورثون .

ومرّت فترة صمت قالت على اثرها مس وينفليت :

- مستر فيتز ويليم .. هلا ذكرت لي السبب الذي جعلك تزج بهورثون في هذا الموضوع ، علماً بأن مسز هورثون توفيت منذ أكثر من عام ؟

- لا أعلم .. إنني فقط أتساءل .. ألم يكن موتها غير متوقع ؟

فقالت في بطء :

- لقد كنت لا أتوقع موتها ، فإنها كانت في تحسن مستمر يدل على أنها ستشفى وفجأة حدثت لها نكسة وماتت .

- هل دهش دكتور توماس ؟

– لا أعرف وإن كنت أعتقد انه دهش لذلك .

– وماذا قالت الممرضات ؟.

– حسب تجاربي أقرر ان ممرضات المستشفيات لا يدهشهن رؤية المريض يسير إلى أسوأ ، بل إن تقدم صحته هو الذي يصيبهن بالدهشة .

– ولكن موتها أصابك بالدهشة ؟.

– نعم فقد كنت معها قبل موتها بيوم واحد، وكان يظهر عليها انها في حالة أفضل بكثير مما كانت عليه وكانت تتحدث في مرح .

– وماذا كان رأيها في مرضها ؟

– لقد كانت تشكو وتقول ان الممرضات يعملن على تسميمها ، حتى أنهـــا تسببت في طرد ممرضة ومع ذلك فقد قالت ان الممرضتين الأخريين مثلها مثل التي طردت سوء بسواء .

– أظن انك لم تعيري ذلك القول كبير اهتمام ؟

– لا فقد ظننت ان ما تقوله نتيجة مرضها وخاصة انهـــا امرأة كثيرة الشكوك ، كما انها كانت تهوى ان تحيط نفسها بهالة من الأهمية ، ولم يعرف أي طبيب علتها وفي ظني إما ان يكون مرضها مجهول السبب أو ان شخصاً ما كان يحاول التخلص منها .

وحاول لوك ان يجعل نبرات صوته عادية وهو يسأل .

– ألم تشك في ان زوجها كان يحاول التخلص منها ؟.

– نعم .. إن هذه الفكرة لم تخطر على بالها قط ..

ثم سكتت برهة وسألت بعدها :

– هل هذا كل ما تفكر فيه ؟

فقال لوك في بطء :

– لقد فعل أزواج كثيرون مثل ذلك من قبل ولم يفطن اليهم أحد ، ومما سمعته ان مسز هورثون كانت سيدة يتمنى أي رجل الخلاص منهـا ، كما أنني

أعرف ان زوجها ورث عنها مبلغاً كبيراً من المال بعد موتها .

– نعم .. حدث ذلك .

– فماذا تظنين أنت يا مس وينفليت ؟

– رأيي ان ميجور هورتون كان يحب زوجته كثيراً ، وانه لم يكن يتصور قط عمل شيء مثل هذا .

– حسناً .. أظن انك على حق ، ومن المحتمل انك كنت تعرفين ان الأمر بخلاف ذلك .

فابتسمت مس وينفليت وقالت :

– أتظن أننا معشر النساء نجيد الملاحظة ؟

– من الطراز الأول .. أتظنين ان مس بينكرتون كانت تتفق معك في رأيك ؟

– لا أظن ان لافينيا أبدت رأياً على الاطلاق .

– ماذا كانت تظن في آمي جيبز ؟

وقطبت مس وينفليت حاجبيها وكأنها تفكر ثم قالت :

– من الصعب القول ، فإن لافينيا كانت لديها فكرة غريبة ..

– أية فكرة ؟

– لقد ظنت ان شيئاً غريباً يحدث هنا في ويتشوود .

– هل ظنت ، على سبيل المثال ، ان أحداً دفع تومي بيرز من النافذة ؟

وحدّقت مس وينفليت فيه في دهشة وقالت :

– كيف عرفت ذلك يا مستر فيتز ويليم ؟

– لقد قالت لي ذلك .. ليس بنفس الكلمات ولكنني خلصت من قولها إلى الفكرة بصفة عامة .

وانحنت مس وينفليت إلى الأمام وقد احمر وجهها من الاهتمام .

– متى حدث ذلك يا مستر فيتز ويليم ؟

فقال لوك في هدوء :

– في اليوم الذي قتلت فيه فقد سافرنا سوياً إلى لندن .

– ماذا قالت لك بالضبط ؟

– قالت لي انه حدثت عدة حوادث موت في ويتشوود وذكرت آمي جيبز وتومي بيرز وذلك الرجل كارتر ، كما قالت أيضاً ان دكتور همبلي سيموت بعد ذلك .

– هل ذكرت لك من المسئول عن ذلك ؟

فقال لوك في تجهم :

– رجل ذو نظرة معينة في عينيه .. نظرة لا يمكن للمرء أن يخطئهـــا على حسب ما تقول .. وقالت انها شاهدت تلك النظرة في عينيه وهو يتحدث إلى همبلي ، ولهذا قالت ان همبلي هو الذي سيموت بعد ذلك .

فقالت مس وينفليت في همس :

– ولقد كان ..

وأسندت ظهرها إلى المقعد فسألها لوك :

– من هو ذلك الرجل ؟ قولي لي يا مس وينفليت فلا بد انك تعرفين .

– كلا .. فهي لم تقل لي .

– ولكن يمكنك الحدس، ولا بد أن لديك فكرة عمن كانت تتحدث عنه .

وفي تمنع حنت مس وينفليت رأسها فقال لوك :

– إذن خبريني ..

ولكن مس وينفليت هزت رأسها بشدة وقالت :

– كلا .. انك تسألني أن أفعل شيئاً لا يتفق والأخلاق .. أنت تطلب مني أن أحدس عما قد يكون دار في ذهن صديقــة لي هي الآن في عداد الموتى .. كلا .. أنا لا يمكنني أن أدلي باتهام من هذا القبيل .

– لن يكون ذلك اتهاماً بل مجرد رأي ..

– ليس أمامي شيء أقيم عليه أي رأي ، وفي الواقع ان لافينيا لم تذكر لي شيئاً قط وربما يدور الآن في خلدي أنها كانت لديها فكرة معينة ، ولكني قد أكون مخطئة تماماً في ظني ، وبذلك أكون قد قدتك إلى طريق خاطىء ربما ترتبت عليه نتائج وخيمة .

وضمت شفتيها ونظرت إلى لوك نظرة فيهـا الإصرار ، وكان لوك يعرف كيف يتقبّل الهزيمة عندما يقابلها ، ولذا قام مودعاً وهو يزمع اعادة الكرة فيما بعد وأخذ يقول :

– يجب عليك ان تفعلي ما تظنينه صواباً بطبيعة الحال وأنا أشكرك على ما قدمته إليّ من مساعدة .

وظهر على مس وينفليت أنها أقل وثوقاً من نفسها عما كانت عليه من قبل إذ قالت وهي تسير معه متجهة إلى الباب .

– أرجو ألا تظن ..

ثم غيرت ما كانت تزمع قوله وقالت :

– إذا كان هناك أي شيء آخر يمكنني عمله لمساعدتك فأرجوك أن تخبرني.

– سأفعل .. وأرجو ألا تذكري لأحد ما تحدثنا فيه .

– كلا بالطبع .. لن أذكر كلمة واحدة لأي مخلوق .. وأرجو أن تبلغ بريدجت حبي .. إنها فتاة ذكية .. وأنيقة وأرجو أن تكون سعيدة ..

وعندما رأت نظرة تساؤل في عيني لوك أضافت :

– أعني بعد زواجها من لورد هوايتفيلد ولو ان فارق السن كبير بينهما .

– نعم ..

وتنهدت مس ونفليت وقالت فجأة :

– أتعرف انني كنت مخطوبة له يوماً ..

وحدّق لوك فيها في دهشة ، فأومأت برأسها وهي تبتسم في حزن .

– كان ذلك منذ وقت طويل مضى .. وكان وقتهـا صبياً يبشر

بتحقيق الآمال المعقودة عليه .. وكنت قد عاونته على تثقيف نفسه كما تعلم ، وكنت في غاية الفخار لروحه العالية وطريقة إصراره على النجاح في الحياة ..

وتنهدت مرة اخرى ثم مضت تقول :

— وبالطبع شعر أهلي بالخزي إذ كانت التفرقة بين الطبقات في ذلك الوقت شديدة جداً ..

وصمتت برهة ثم قالت :

— لقد تتبعت دائماً حياته العملية باهتمام شديد وأظن أن عائلتي كانت مخطئة.

ثم حنت رأسها وهي تبتسم وألقت إليه بتحية الوداع ثم دخلت إلى منزلها وحاول لوك أن يلم شمث أفكاره .. لقد كان ينظر من قبل إلى مس وينفليت على أنها عجوز ، وتحقق له الآن انها ربما تكون أقل من ستين عاماً ، ولا بدأ ن لورد هوايتفيلد قد تعدّى الخسين من العمر وربما تكون هي أكبر منه بعام أو عامين ولا أكثر من ذلك ..

وهو سيتزوج من بريدجت .. بريدجت ذات الثانيـة والعشرين ربيعاً .. بريدجت الشابة المليئة بالحياة .. وثار لوك على نفسه وقال :

— يا للعنة .. يحسن بي ألا أفكر في ذلك .. فأمامي عمل ، علي الانتهاء منه.

الفصل الرابع عشر

تأملات لوك

لم يشعر لوك بالارتياح إلى مسز تشيرش ، عمة آمي جيبز ، ولذا عاملها في جفاء ، وكانت هذه المعاملة ذات نتيجة حسنة بالنسبة للغرض الذي ينشده .

وقال لوك :

– ليس عليك إلا ان تجيبي على أسئلتي بصراحة ، فإذا أخفيت عني شيئاً يعطل سير العدالة فالعواقب ستكون وخيمة بالنسبة إليك .

– نعم يا سيدي وأنا مستعدة للاجابة على كل ما تريد .

أريد أن أعرف كل ما يتعلق بابنة أخيك.. من هم أصدقاؤها ؟ وماذا كانت تملك؟.. وكل شيء قالته قد يلقي ضوءاً على موتها ؟.. والآن لنبدأ بأصدقائها.. من هم ؟..

– جيم هارفي الذي يعمل في حظيرة السيارات ، وهو شاب رزين لا يوجد أفضل منه وقد قلت لها ...

فقاطعها لوك قائلاً :

ومن هم الآخرون ؟.

– أظن أنك تفكر في ذلك السيد الذي يملك حانوت العاديات ، أنا لم أكن

راضية عن ذلك فقد كنت دائماً سيدة محترمة لا أرضى بمثل تلك الأشياء .. ولكن فتيات اليوم لا ينصتن للنصيحة ويفعلن كيفما شئن وفي العادة يندمن على أفعالهن أخيراً .

فسأل لوك في صراحة :

– هل ندمت آمي على ما فعلته ؟

– كلا يا سيدي .. لا أظن ذلك .

– لقد ذهبت يوم موتها لاستشارة الدكتور توماس ... ألم يكن ذلك هو السبب ؟

– كلا يا سيدي ... أكاد أكون واثقة ان ذلك لم يكن السبب وأقسم على ذلك .. لقد كانت آمي معتلة الصحة ، ولكن كل ما كان بها هو مجرد سعال وبرد .. ولم يكن بها ما تظن .. أنا واثقة من ذلك يا سيدي .

– سأصدقك .. ولكن كيف سارت الأمور بينها وبين الزورني ؟

– لا يمكنني ان أحدّد ذلك بالضبط يا سيدي ، إذ لم تكن آمي تدلي بأسرارها إليّ .

فقال لوك :

– ولكنك تظنين ان الأمور تطورت بينهما تطوراً خطيراً ؟

– إن ذلك السيد لا يتمتع بسمعة طيبة ، فله أصدقاء يتميزون بالغرابة يحضرون إلى هنا وتحدث أشياء غريبة في ساحة الساحرات في منتصف الليل ..

– هل كانت آمي تذهب إلى هناك ؟.

– أعتقد أنها ذهبت مرة واحدة يا سيدي ومكثت طول الليل هناك ، وعرف ذلك لورد هوايتفيلد وكانت وقتها في خدمته فعنفها بشدّة وردّت عليه فكانت النتيجة أنه طردها من الخدمة وهذا ما كان متوقعاً .

– هل ذكرت لك شيئاً عما كان يدور في الأماكن التي كانت تذهب إليها ؟.

وهزّت مسز تشيرسن رأسها وقالت :

ـ لم تقل شيئاً ذا أهمية يا سيدي ، فقد كانت تهتم بما تفعله

ـ ألم تمكث في خدمة مستر ومسز هورثون بعض الوقت ؟.

ـ ما يقرب من العام يا سيدي ..

ـ لماذا تركت الخدمة هناك ؟.

ـ بسبب اختيار الأفضل فقد كان هناك مكان خالٍ في آسن مانور وبالطبع كان الأجر أعلى.

وأومأ لوك برأسه مؤمناً وقال :

ـ أظن أنها كانت في خدمة آل هورثون عندما توفيت مسز هورثون ؟

ـ نعم يا سيدي .. وأذكر أنها كانت تبدي تبرُمها في ذلك الوقت لزيادة أعبائها نظراً لوجود ممرضتين في المنزل وازدياد الواجبات المقررة عليها .

ـ أظن انها لم تكن في خدمة المحامي مستر آبوت على الإطلاق ؟.

ـ كلا يا سيدي ، إذ ان مستر آبوت يقوم على خدمتـه رجل وزوجته .. وكل ما في الأمر أن آمي ذهبت اليه مرة واحدة في مكتبه ، ولكنني لا أعرف لأي سبب .

ـ هل يوجد رجال آخرون في القرية كانوا أصدقاء لها ؟

ـ لا أظن .

ـ إنني أريد الحقيقة يا مسز تشيرسن ، فحاولي أن تتذكري .

ـ إنه لم يكن رجلاً محترماً يا سيدي.. وكانت تحقر نفسها من أجله وقلت لها ذلك ..

ـ هلا أفصحت في قولك يا مسز تشيرسن ؟

ـ أظن انك سمعت عن حانة النجوم السبع يا سيدي..إنه مكان غير محترم وصاحبه المدعو هاري كارتر هو الشخص الحقير ..

ـ هل كانت آمي صديقة له ؟

ـ لقد خرجت معه مرة أو مرتين ، ولا أظن أن الأمر تعدّى ذلك .. حقاً

لا أظن ذلك يا سيدي .

وأومأ لوك برأسه ثم قام بتغيير دفة الحديث إذ قال :

– هل تعرفين صبياً صغيراً اسمه تومي بيرز ؟

– من ؟ ابن مسز بيرز ؟ طبعاً أعرفه.. لقد كان دائماً سبباً في متاعب جمة.

– هل كان يقابل آمي كثيراً ؟

– كلا يا سيدي .. لقد كانت آمي تعـامله بجفاء إذا حاول مضايقتها بألاعيبه .

– هل كانت سعيدة في عملها عند مس وينفليت ؟

– لقد كانت تظن أن عملهـــا هناك يتصف بالملل ، كما أن الأجر لم يكن مرتفعاً ، ولكن بالطبع ليس من السهل الحصول على عمل بعد أن طردت من عملها في آسن مانور .

– أظن أنه كان يمكنها الرحيل .

– أتعني إلى لندن يا سيدي ؟

– نعم .. أو إلى أي مكان آخر.

وهزت مسز تشيرسن رأسها وقالت في بطء .

– لم تكن آمي ترغب في الرحيل عن ويتشوود والأحوال على ما هي عليه.

– ماذا تعنين بقولك « والأحوال على ما هي عليه » ؟

– أعني بالنسبة لجيم وصاحب حانوت العاديات .

وأومأ لوك برأسه ومضت مسز تشيرسن تقول :

– إن مس وينفلت سيدة لطيفة جداً ، ولكنها تهتم كثيراً بجلاء النحاس والفضيات وإزالة الغبار وما شابه ذلك من الأعمال ، ولا أظن ان آمي كانت تتحمل كل ذلك لو لم يكن هناك أي شيء آخر تتعزى به .

فقال لوك في جفاء :

– يمكنني أن أتصور ذلك.

واعتمل ذهنه فلم يجد شيئاً آخر يمكنه أن يسألها عنه، وكان متأكداً أنه قد استخلص كل معلومات مسز تشيرسن وقرر أن يحاول محاولة أخيرة فقال :

ـ أظن انك تريدين الوقوف وراء كل تلك الأسئلة، فإن الظروف التي ماتت فيها آمي غريبة نوعاً ونحن غير مطمئنين إلى أن الأمر كان مجرد حادثة ، فإذا لم يكن الأمر كذلك بلا بد ان تعرفين ماذا كان عليه الوضع ؟

ـ أتعني عملاً إجرامياً ؟

ـ تماماً ... والآن لنفترض ان ابنة أخيك كانت ضحية عمل إجرامي، فمن الذي تظنينه مسئولاً عن موتها ؟

ومسحت مسز تشيرسن يديها في مريلتها ثم قالت متسائلة :

ـ أظن أنـه لا بد أن تكون هناك جائزة لإرشاد البوليس إلى الطريق الصحيح ؟.

فقال لوك :

ـ قد يكون الأمر كذلك .

وبللت مسز تشيرسن شفتيها بلسانها وقالت :

ـ لا يمكنني أن أجزم بشيء ، ولكنني أقول ان صاحب حانوت العاديات رجل غريب في تصرفاته ...

ـ هل هذا ما تظنين ؟

ـ أظن أن الأمر قد يكون كذلك يا سيدي ..

ووافق لوك على ما قالته ثم قال :

ـ هل كان الزورثي بعيداً عن هنا في مساء يوم سباق الدربي ؟ هـــذه هي النقطة الهامة .

وحدقت فيه مسز تشيرسن ثم سألته :

ـ يوم سباق الدربي ؟

ـ ـ نعم .. يوم الأربعاء منذ أسبوعين مضيا .

وهزّت مسز تشيرسن رأسها ثم قالت :

— حقاً أنا أعلم .. فهو عادة ليس هنا أيام الأربعاء إذ يذهب إلى المدينة بعد أن يغلق حانوته مبكراً .

فقال لوك :

— إذن فهو يغلق حانوته مبكراً أيام الأربعاء .

وبعد قليل ترك مسز تشيرسن وهو يشعر بكراهية لها ، ومع ذلك فقد كان مقتنعاً بأن حديثه معهـــا أفاده في كثير من النقاط وأنه أوحى إليه بعديد من الأشياء التي مضى يفكر فيها .. وخلص من تفكيره إلى أن الشبهات تتركز في أربعة أفراد هم : توماس وآبوت وهورثون والزورثي ، وزاد في تأكده ان تصرف مس وينفليت يؤكد ما وصل اليه .. مثل عدم رغبتها في ذكر أي اسم .. لا بد أن ذلك يعني أن الشخص المسئول رجل له مكانته في ويتشوود .. رجل يسيء اليه أي تلميح .. كما أن ذلك يتفق مع عزم مس بينكرتون على أن تفضي بشكوكها إلى الشرطـة في سكوتلانديارد ، لأنها لو أفضت بها إلى رجال الشرطة المحليين لكانت هدفاً للسخرية . لا بد ان الأمر لم يكن يتعلق بالجزار أو الخبـــاز أو عامل في حظيرة السيارات ، بل لا بد أنه كان يتعلق بشخص يعد اتهامه بجريمة قتل أمراً خيالياً بل أمراً خطيراً .. ولم يكن هناك سوى أربعة أشخاص ينطبق عليهم هذا الوصف ، وكان الأمر يتوقف عليه لبحث حالة كل منهم على حدة ليقرر أيهم الذي تحوم حوله الشبهات .

فإذا عدنا إلى مس وينفليت وجدناها امرأة ذات ضمير وانها تثق في معرفتها للشخص الذي اشتبهت فيه مس بينكرتون ، ولكنها قالت انها لا تؤكد ذلك من جانبها ومن المحتمل أن تكون مخطئة في ظنها .. فمن يا ترى ذلك الذي تفكر فيه مس وينفليت ؟ . لقد كانت تشعر بالاضطراب خوفاً من أن يؤدي اتهامها إلى الإيقاع ببريء ، فلا بد أن يكون الشخص الذي تفكر فيه له مكانته ومحبوباً من الأغلبية ومحترماً من الجميع . وعلى ذلك فإن ذلك يجعل الزورثي مستبعداً ،

فقد كان في الواقع غريباً على ويتشوود كما ان سمعته المحلية كانت سيئة ، ولم يدر بخلد لوك أنه لو كان الزورثي هو الشخص الذي تظنه مس وينفليت لما امتنعت عن ذكر اسمه ، وعلى ذلك فعليه أن يستبعده من قائمة المشتبه فيهم .. والآن لنعد إلى الآخرين .. لقد شعر لوك أنه يمكنه أيضاً استبعاد ميجور هورثون،فقد نفت مس وينفليت بشدة فكرة تسميم مسز هورثون بواسطة زوجها، ولو كانت قد اشتبهت في ارتكابه جرائم بعد ذلك لما أصرّت في تصميم على تبرئته من دم زوجته .. كل ذلك يترك لنا اثنين من المشتبه فيهم وهما : دكتور توماس ومستر آبوت، وكل منهما تنطبق عليه الاشتراطات المفروضة... كان كل منهما ذا مركز مرموق وكان كل منهما شعبياً ومحبوباً ... وعاد لوك يسائل نفسه عما إذا كان يستطيع هو نفسه استبعاد كل من الزورثي وهورثون ، وفي الحال هزّ رأسه نفياً فلم يكن الأمر بسيطاً إلى ذلك الحد ، إذ كانت مس بينكرتون تعرف حقاً المجرم .. وقد تأكد ذلك أولاً بموتها ثم بموت دكتور همبلبي ، ولكن مس بينكرتون لم تدل باسم أي شخص إلى مس وينفليت ، وعلى ذلك فإن كل ما تعرفه مس وينفليت هو مجرد ظن ، وفي أغلب الأحيان يكون الظن مخطئاً ، وعلى ذلك فإن المشتبه فيهم الأربع ما زالوا كما كانوا وقال لوك لنفسه :

ـ لنبحث الأمر على هذا النحو ... لنشتبه في كل فرد على حدة .. فمثلاً الزورثي لنفترض أنه القاتل .. ونحاول بحث حالة كل من الضحايا مرتبة .. مز هورثون .. من الصعب معرفة الدافع على قتلها .. ولكن لا توجد الوسيلة ، فقد ذكر ميجور هورثون شيئاً قام الزورثي بتحضيره لها وتناولته فعلاً ، وفي تلك الحالة يمكن تسميمها بشيء مثل الزرنيخ ، ولكن يبقى عندنا السؤال .. لماذا ؟ والآن ننتقل إلى الآخرين.. آمي جيبز.. لماذا يقتل الزورثي آمي جيبز؟ السبب الواضح أنها كانت مصدر متاعب له .. ربما يكون الدافع انها كانت تهدده لاخلاف وعده أو انها اشتركت في حفل شاذ بالليل .. فهل يا ترى هددته بإفشاء السر ؟ هل يا ترى هددته بأخطار لورد هوايتفيلد ، وهو معروف بأنه

ذو نفوذ كبير في ويتشوود، وانه حسب قول بريدجت رجل ذو مثل عليا فماذا لو كان قـــد عرف عن طريقها أن الزورثي يرتكب أشياء منافية للعرف والاخلاق ؟. إذن لا بد من التخلص من آمي .. ولم تكن الجريمة إذن لإشباع الرغبة في القتل، إذ أن طريقة القتل تنفي ذلك .. من إذن بعد ذلك ؟ كارتر؟ من غير المعقول أن يعلم بالحفلات الشاذة التي تجري في منتصف الليل ..أم كانت ابنته الجميلة تشترك فيها ؟. وربما كان الأمر لا يتعدى الوقاحة مع الزورثي ، والأخير غضب من ذلك فإذا كان قد ارتكب وقتئذ جريمة أو جريمتين ، فإن الغرور سيستبد به ويدفعه إلى ارتكاب جريمة ثالثة .. والآن ننتقل إلى تومي بيرز .. فلماذا يقتله الزورثي ؟ لسبب بسيط .. فتومي قد اشترك في إحدى تلك الحفلات الشاذة ، ولا بد أنه هدده بالتحدث عنها بل ربما يكون قد تحدّث عنها فعلا .. إذن الحل يكون في غلق فم تومي إلى الأبد .. ودكتور همبلبي ؟ لماذا يقتله الزورثي ؟ الجواب بسيط .. لقد كان دكتور همبلبي طبيباً ولا بد أنه لاحظ أن حالة الزورثي العقلية ليست على ما يرام ، ومن المحتمل أنه كان في سبيله لاتخاذ إجراء في هذا الصدد ولذا اقتضى الأمر التخلص منه ، ولكن وجه الصعوبة هو في الطريقة التي استخدمت لذلك .. كيف أمكن لالزورثي التأكد من موت همبلبي عن طريق التسمم الدموي؟. أم هل كان تسممه حدث بطريقة عرضية ؟ وأخيراً .. مس بينكرتون ؟. ففي يوم الأربعاء جرت عادته على إغلاق حانوته مبكراً ، وربما يكون قد ذهب إلى لندن في ذلك اليوم، فهل يا ترى يملك الزورثي سيارة ؟. إنني لم أره في سيارة ولكن هذا لا يعني شيئاً، فقد كان يعلم انها تشتبه فيه وانها ذاهبة إلى سكوتلانديارد للادلاء بشكوكها ، وربما يكون عندهم علم به من قبل ..

هذه هي قائمة الاتهامات ضد الزورثي ، فأي شيء إذن في صالحه ؟ أولاً انه قطعاً ليس بالشخص الذي تظن مس وينفليت أن مس بينكرتون كانت تشك فيه ، وسبب آخر هو أنه ليس الشخص الذى أظنه قد ارتكب تلك الجرائم ،

فقد شعرت من حديث مس بينكرتون انها تعني شخصاً غير غريب الأطوار .. شخصاً عادياً لا يثير اشتباه أحد فيـه .. والزورثي من النوع الذي يثير الاشتباه ..

والآن ننتقل إلى توماس .. لقد رفعت اسمه من قائمة المشتبه فيهم ، بعد أن تحدثت معه لأنه شخص غير عادي .. ولكن الموضوع كله يتركز في أن المجرم شخص عادى ، يعد أبعد الناس عن الشبهات .. وهو ما ينطبق بطبيعة الحال على توماس ..

والآن ماذا عن آبوت .. إنه هو الآخر يصلح لأن يكون هو المجرم ، فهو شخص عادى يتمتع بسمعة حسنة .. وقد زارته آمي جيبز مرة ، فلماذا ؟ هل طلبت منه استشارة قانونية ؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا ؟ أم أنها زارته لأمر شخصي ؟.. وهناك موضوع خطاب خاص من سيده وهو ما رآه تومي .. فهل كان ذلك الخطاب من آمي جيبز ؟ أو أنـه كان خطاباً كتبته مسز هورثون .. خطاب حصلت عليه آمي جيبز بطريقة ما أثناء خدمتها في منزل آل هورثون . وأي سيدة تلك التي تكتب خطاباً خاصاً إلى آبوت يدفعه إلى فقدان التحكم في أعصابه عندما يعرف أن تومي رآه ؟ وطلاء القبعات .. إنه ما يفكر فيـه .. زئر نساء من النوع القديم .. وتومي بيرز ؟ السبب في قتله واضح وهو رؤيته للخطاب .. أما كارتر فهناك موضوع ابنته ، وربما يكون آبوت قـد أراد درء فضيحة خوفاً من تهديد كارتر له فقتله .. ثم شجاره مع همبلبي وجرأة الأخير على أن يعارضه.. ثم مَن بعد ذلك ؟ لافينيا بينكرتون.. والنظرة التي شاهدها في عينيها وعلمه بأنها عرفت أمره .. ولكنها لا تملك الدليل .. ولكن لنفترض أنها بدأت البحث عن الأدلة.. وماذا إذا ذهبت بشكوكها إلى سكوتلانديارد؟ ربما إذا فعلت ذلك صدقوها ، وربما بدؤا في تحرياتهم .. إذن لا بد من اتخاذ إجراء حاسم.. فهل يا ترى يملك مستر آبوت سيارة ، أو انه قد استأجر واحدة عقب وصوله إلى لندن ، على كل حـــال فإنه كان متغيباً عن القرية في يوم

سباق الدربي .

ومضى لوك في أفكاره وتأملاته وخلص إلى أن الأمر لا يعـدو أن يكون القاتل أحد اثنين : اما آبوت أو توماس ، وانه يجب أن يتأكد ممن تشك فيه مس وينفليت ، ولكن كيف يمكنه عمل ذلك هل يذهب اليها ويسألها صراحة أيهما القاتل في رأيها ؟.. ربما يتمكن من الحصول على إجابة لهذه الطريقـة .. ولكن قد تكون مخطئة في ظنها ، ولا يوجد دليل يثبت انها على حق في ظنها ، كما أثبتت مس بينكرتون انها كانت مصيبة في شكوكها .. دليل آخر هذا هو كل ما ينشده .. وأفاق من تأملاته فجأة وتمتم :

– يا لله ! إنني بذلك أطلب حدوث جريمة قتل أخرى .

الفصل الخامس عشر

سلوك غير لائق من سائق سيارة

جلس لوك يحتسي شرابه في حـــانة النجوم السبع وهو يشعر بنظرات الحاضرين تحصي عليه تحركاته ، وشعر بأنه مصيب في ظنه من أن الفتاة الجميلة التي تقف في البار ليست إلا مس لوسي كارتر التي كانت تبادل رواد الحانة الحديث بلا كلفة وفي طريقة آلية .. وشعر لوك بأن لا فائدة ستعود عليه من المكث في الحانة ، فخرج وسار حتى وصل إلى الممر المؤدي إلى الكوبرى المقام على النهر، ومضى يتفحصه حتى أفاق على صوت مرتعش من خلفه يقول : « هنا يا سيدي وقع هارى العجوز في النهر » ..

واستدار لوك ليرى واحداً من رواد الحانة الذين رآهم منذ لحظات، واستمر الرجل في حديثه قائلا :

— هنا يا سيدي وقع هارى على قمة رأسه فغاص في الوحل .

فقال لوك :

— غريب أن يقع هنا ؟

فرد الرجل :

— لقد كان مخموراً .

فقال الرجل :

– بل كل ليلة .

فقال لوك :

– ربما يكون أحدهم قد دفعه .

ووافق الرجل قائلاً :

– ربما يكون ذلك قد حدث ، ولكنني لا أعرف من يفعل ذلك .

– قد يكون له أعداء ، فقد كان سليط اللسان عندما يكون مخموراً .

– كان هاري بذيئاً في أقواله ، ولكنني لا أظن أن أحـداً يدفع هاري وهو مخمور .

ولم يحاول لوك مناقشة ذلك القول ولذا قال :

– حسناً .. لقد كان الأمر كله محزناً ..

– لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لزوجه ولابنته لوسي .

– ربما يكون هناك أناس آخرون يسرهم موته .

– ربما كان الأمر كذلك ، ولكن هاري لم يكن يرغب الضرر لأحد .

وعلى ذلك افترق الرجلان .. وسار لوك متجهاً إلى المكتبة التي كانت تتم جميع عملياتها مع المترددين عليهـا في الغرفتين الأماميتين ، واتجه لوك إلى الجزء الخلفي عن طريق باب كتب عليه اسم المتحف ، وهناك مضى يتنقل وهو ينظر إلى المحتويات التي كانت لا تزيد عن كونها بعض الأواني الفخارية من العهـد الروماني ، وكذلك بعض العملات النقدية وبعض التحف التي استحضرت من البحار الجنوبيـة وبعض تماثيل لآلهة الهند وضعت عليها بطاقات تدل على أنها قدمت هدية من الميجور هورتون .. وبعد مضي فترة عاد لوك إلى الردهة الأصلية وهناك لم يجد أحداً فيها فأسرع يرتقي الدرج المؤدي إلى الطابق العلوي ، وهناك وجد حجرة ملأى بأوراق ومجلات وحجرة اخرى ملأى بالكتب .. وعاد لوك يرتقي الدرج ليصعد إلى الطابق الأعلى ليجد نفسه في غرف مليئة بالمهملات مثل

طيور محنطة أصابها التلف ومجلات ممزقة .. واقترب لوك من النافذة وشعر بأنه لا بد أن تكون تلك هي النافذة التي جلس على حافتها تومي بيرز ، ومن المحتمل أن يكون قد مضى يطلق صفيراً من فمه وهو يقوم بين آونة واخرى بتنظيف زجاجتها عندما سمع شخصاً مـا يقترب منه ، ولا بد أنه بدا يقوم بتنظيف النافذة بهمة واقترب منه ذلك الشخص ليتحدث اليه ثم دفعه فجأة بشدة .

واستدار لوك ونزل على الدرج إلى أسفل ، ثم وقف في وسط البهو الأساسي دقيقة أو دقيقتين وهو يفكر كيف أن أحداً لم يشاهده وهو يدخل أو وهو يرتقي الدرج إلى الطوابق العلوية ، وفكر في أن أي شخص يمكنه أن يفعل مثلما فعل .. وسمع وقع خطى تقترب ناحيته من جهـــة المكتبة ، ثم دخلت مس وينفليت وقد حملت بين ذراعيها مجموعة من الكتب ، وكان يظهر عليها أنها سعيدة باندماجها في عملها ، وعندما وقع بصرها عليه أضاءت وجهها ابتسامة وهتفت قائلة :

— أوه .. مستر فيتز ويليم .. هل كنت تلقي نظرة على المتحف ؟

يؤسفني أنه لا يوجد بـه تحف كثيرة حقاً ، ولكن لورد هوايتفيلد وعدنا بإحضار بعض المعروضات المثيرة للاهتمام .

— حقاً ؟.

— نعم .. معروضات حديثة مثل التي في متحف العلوم الكائن بلندن ، وقد اقترح مثلاً إحضار نماذج لطائرات وسكك حديدية وأيضاً مواد كيماوية .

— ربما تضفي مثل تلك النماذج بهجة على المتحف .

— نعم فإنني لا أظن أنه من الواجب أن يكون المتحف مقصوراً على معروضات تتعلق بالماضي فقط .. وما رأيك أنت ؟

— ربما يكون الأمر كذلك .

— وأظن أنه قد يكون من الواجب عرض بعض الأشياء المتعلقة بمواد الغذاء مثل الفيتامينات وما أشبه ذلك ...

وأدار لوك دفة الحديث فقال :

لقد نظرت إلى محتويات المتحف ، ولكنني بعد ذلك توجهت إلى الطابق العلوي لألقي نظرة على النوافذ هناك .

وارتعشت مس وينفليت وقالت :

— أتعني حيث كان تومي ... الواقع أن الأمر رهيب جداً .

— نعم..كما انني أمضيت فترة من الوقت مع عمة آمي مسز تشيرسن وهي في نظري ليست امرأة ظريفة .

— كلا مطلقاً .

— حتى انني اضطررت لاتخاذ موقف جاف معها ، ولا بد أنها ظنت انني من كبار رجال الشرطة .

وتوقف عن الحديث ، إذ شاهد تغيراً مفاجئاً على وجه مس وينفليت التي قالت :

— أوه يا مستر فيتز ويليم .. أتظن أن ذلك العمل منك كان حصيفاً ؟.

فقال لوك :

— انني حقاً لا أعلم ولكن لم يكن من ذلك بد ، فإن قصة تأليف كتاب لم تعد تقنع أحداً ولم يكن في مقدوري الاستمرار فيهـــا ، وكان عليّ أن أقوم بتوجيه الأسئلة في صراحة وبدون مواربة .

وهزت مس وينفليت رأسها في شك ولا زالت علامات الاضطراب ظاهرة على وجهها وقالت :

— أنت تعلم أن الأنباء تنتقل بسرعة في مثل هذا المكان .

— أتعنين بذلك أن كل فرد هنـــا سيشير إليّ ويقول ها هو الشرطي كلما سرت في الشارع ؟ لا أظن أن ذلك يهم الآن .. والواقع أنني ربما أعرف شيئاً أكثر بهذه الطريقة .

— أنا لا أعني ذلك .. إن ما أعنيه هو أنه سيعرف .. وسيدرك أنك في

طريقك نحو اقتفاء أثره ..

فقال لوك في بطء :

– أظن أنه سيفعل ذلك .

فقالت مس وينفليت .

– ولكن ألا تدرك أن ذلك أمر خطير ورهيب ؟

وهنا شعر لوك أنه قد عرف أخيراً ما تعنيه فقال :

– أتعنين أن القاتل سيحاول التخلص مني ؟

– نعم .

فقال لوك :

– هذا غريب انني لم أفكر في ذلك قط وأعتقد أنك مصيبة في ظنك ...

– حسناً .. ربما يكون ذلك أفضل شيء يمكن حدوثه .

فقالت مس وينفليت في حرارة :

– لا أظن انك تدرك أنه رجل ذكي جداً وحذر .. وتذكر أيضاً أنه ذو خبرة كبيرة .. وربما أكثر مما نعرف .

فقال لوك في تفكير :

– نعم .. من المحتمل أن يكون الأمر كذلك .

فهتفت مس وينفليت قائلة :

– أنا غير راضية عن ذلك وأشعر بخوف كبير .

فقال لوك في رقة :

– لا داعي لقلقك فإني سأكون حريصاً ، انني قد قصرت شكوكي على أقل عدد ممكن ، وعلى كل حال إن لديّ فكرة عمن يحتمل أن يكون هو القاتل ..

وهنا رفعت بصرها اليه في سرعة وحدة..واقترب لوك منها خطوة وخفض من صوته وهو يهمس اليها :

— مس وينفليت.. إذا قمت بسؤالك عمن تظنينه أكثر احتمالاً في أن يكون هو القـــاتل من بين اثنين ، هما : دكتور توماس ومستر آبوت ، فماذا يكون جوابك ؟.

أوه ...

قالتها مس وينفليت بينما ارتفعت يدها في سرعة نحو صدرها ، وارتدت إلى الوراء وتقابلت عيناها مع عيني لوك في نظرة غريبة لم يدرك هو كنهها.. نظرة شعر انها تحمل نفاد الصبر ، وشيئاً آخر يماثله وإن كان لم يعرف ما هو .. ثم قالت :

— لا يمكنني أن أقول شيئاً ..

واستدارت فجأة وقد خرج من حلقها صوت غريب وكأنه مزيج من التنهد والبكاء .. وهنا شعر لوك أنه لا مفر له من قبول الأمر الواقع فسألها :

— أذاهبة أنت إلى المنزل ؟

— كلا .. انني كنت سأحمل هذه الكتب إلى مسز همبلبي التي يقع منزلها في طريقك نحو آسن مانور ، وربما يمكننا أن نسير سوياً مسافة من الطريق ..

فقال لوك :

— هذا أمر يسرني ..

ونزلا الدرج سوياً واستدار إلى اليسار ، والتفت لوك خلفه لينظر إلى المبنى الذي غادراه ثم قال :

— لا بد أنه كان منزلاً جميلاً أيام والدك ..

وتنهدت مس وينفليت وقالت :

— نعم .. لقد كنا جميعاً سعداء جداً هنا ، وأنا أشعر بالامتنان لأنه لم يهدم مثل غيره من المنازل القديمة وخاصة ان المنازل الحديثة ليست جيدة البناء مثل المنازل القديمة .

— حقاً وأظن أنها لا تصمد للزمن مثلها أيضاً .

فقالت مس وينفليت .

– ولكن المنازل الحديثة تتلاءم والحياة المريحة وتخفف من أعباء العمل فيها إذ ليس بها أبهاء فسيحة تتطلب جهداً كبيراً لنظافتها .

ووافقها لوك على ذلك .. وعندما وصلا إلى منزل دكتور همبلبي ترددت مس وينفليت برهة ثم قالت :

– يا لها من أمسية جميلة وأظن – إن لم يكن لديك مانع – إنني سأسير معك مسافة ما حيث أشعر بمتعة في استنشاق هذا الهواء الطلق الجميل .

وشعر لوك بدهشة ومع ذلك فقد أظهر سروره من ذلك في أدب إذ لم تكن الأمسية من ذلك النوع الذي تطلق عليه صفة الجمال ، فقد كانت هناك ريح قوية حتى أنه لم يستبعد أن تهب عاصفة في أي وقت ..

وعلى ذلك سارت مس وينفليت بجواره وقد أمسكت قبعتها بإحدى يديها في الطريق المنعزل المؤدي إلى بوابة آسن مانور ، وعندما اقتربا منها سمعا أصواتاً صاخبة تصل إلى آذانهما ، وما ان انقضت لحظة حتى كانا على مرأى من لورد هوايتفيلد وهو يؤنب شاباً في ثياب سائق سيارة ، وسمعا لورد هوايتفيلد يقول في صياح :

– أنت مرفود .. هل تسمعني ؟.. أنت مرفود .

– هلا سامحتني يا سيدي اللورد هذه المرة فقط .

– كلا ،. لن أسامحك .. تأخذ سيارتي .. سيارتي أنا .. وتقودها وأنت مخمور .. نعم .. لقد فعلت ذلك ولا يمكنك الإنكار ، وسبق أن أوضحت لك أنني لا أرضى بمثل هذه الأشياء في منزلي .. أن تكون مخموراً وبالاضافة إلى ذلك تكون وقحاً ..

ومع أن الرجل لم يكن مخموراً فعلا ، إلا أنه كان قد تعاطى من الشراب ما يجعله لا يأبه بما يقول ، وإذ سمع القول السائق من اللورد تغيرت لهجته وقال :

– لقد سئمت من أوامرك ... لا تسمح بهذا ولا تسمح بذلك وفي منزلك..

منزلك .. أتظن أننا لا نعرف أن والدك كان يملك حانوتاً للأحذية هنا ؟. إننا نكاد نموت من الضحك عندما نراك تسير في خيلاء وكأنك شبه طاووس ... خبرني من أنت ؟.. هذا هو ما أود معرفته .. ويجب أن تعرف أنك لست خيراً مني ..

واصطبغ وجه لورد هوايتفيلد باللون الأحمر وصاح :

– كيف تبلغ بك الجرأة للتحدث معي هكذا ؟ كيف تجرؤ ؟.

وتقدم الشاب إلى الأمام خطوة فيها معنى التهديد وقال :

– لو لم تكن رجلاً ضعيفاً ذا كرش للكمتك في وجهك ..

وتراجع لورد هوايتفيلد إلى الوراء خطوة في سرعة وزلقت قدمه فوقع على الأرض .. وفي تلك اللحظة ظهر لوك الذي وجه حديثه إلى السائق في خشونة قائلاً له :

– أخرج من هنا .

– آسف يا سيدي .. أنا متأكد انني لا أعرف ماذا عراني .

فقال لوك :

– لا بد انك أفرطت في الشراب ..

ثم ساعد لورد هوايتفيلد في الوقوف على قدميه ، وهنا تمتم السائق قائلاً :

– إنني أستميحك المعذرة يا سيدي اللورد .

وكان صوته يختلج بالأسى ، ثم غـــادر المكان في بطء بينما شيعه لورد هوايتفيلد بقوله :

– ستأسف على ما فعلت يا ريفز ..

ثم استدار ناحية لوك وقال :

هذه وقاحة زائدة أن يتحدث إليّ مثل ذلك الرجل .. لا بد أن يحدث شيء خطير له .. إنه لا يعرف معنى الاحترام .. ولا يقدر مكانته في الحياة .. وعندما أفكر فيما أقوم بعمله لهؤلاء القوم .. أعطيهم أجوراً طيبة وكل وسائل

الراحة ومعاشاً عند تقاعدهم ، ثم أقابل بعد كل ذلك بعدم العرفان بالجميل ...

واختنق صوته من فرط الانفعال ، ثم وقع نظره على مس وينفليت التي كانت تقف على مقربة فقال :

– أنت هنا يا هونوريا ؟. يؤسفني كثيراً أن تكوني قد شاهدت ما حدث .. وخاصة لهجة ذلك الرجل .

فقالت مس وينفليت :

– أظن أن الرجل لم يكن في حالة طبيعية يا لورد هوايتفيلد .

– لقد كان مخموراً ..

فقال لوك :

– إن الأمر لا يعدو كونه قد شرب قليلاً .

فقال لورد هوايتفيلد وهو ينقل بصره بين الاثنين :

– أتعرفان ماذا صنع ؟. لقد أخذ سيارتي .. سيارتي أنا .. ظناً منه أنني لن أعود بسرعة ، إذ أخذتني بريدجت في السيارة الصغيرة إلى بلدة « لين » فجاء ذلك الشخص الوقح وأخذ فتاة .. وعلى ما أظن أنها كانت لوسي كارتر .. للتنزه في سيارتي ...

فقالت مس وينفليت في رقة :

– هذا أمر غير لائق إطلاقاً ...

وظهر كأن لورد هوايتفيلد شعر ببعض الراحة إذ قال :

– نعم .. أليس الأمر كذلك ؟.

– ولكني متأكدة أنه سيأسف على ما فعل .

– سأبذل جهدي حتى يحدث له ما يعيده إلى صوابه .

فقالت مس وينفليت :

– لقد قمت بفصله .

وهنا هز لورد هوايتفيلد رأسه وقال :

– ستكون نهاية هذا الشخص مؤسفة .

ثم أضاف :

– تعالي إلى المنزل يا هونوريا وتناولي كوباً من النبيذ ..

– أشكرك يا لورد هوايتفيلد ، ولكن يجب عليّ أن أذهب بهذه الكتب إلى مسز همبلي .. أسعدت مساء يا فيتز ويليم .

وابتسمت له ثم سارت في طريقها ، وشعر لوك أن مس وينفليت قد رافقته وكأنها تريد حمـــايته .. كانت الفكرة في حد ذاتها غير معقولة .. وهنا قطع تفكيره صوت لورد هوايتفيلد ..

– إن هونوريا وينفليت امرأة قديرة جداً .

– أظن أن الأمر كذلك .

وبدأ لورد هوايتفيلد في السير متجهاً نحو المنزل ، وفجأة قهقـه ضاحكاً وقـــال :

– لقد كنت يوماً خطيباً لهونوريا .. منذ أعوام عديدة .. كانت فتاة جميلة الطلعة .. ولم تكن نحيفة مثلما هي عليه الآن .. وكانت أسرتها من أعرق الأسر إذ كان والدها الكولونيل واينفليت الآمر الناهي هنا .. وثارت ثائرته عندما أعلنت هونوريا انها ستتزوجني ، وقالت انها فتاة متحررة تنادي بإلغاء الفوارق بين الطبقات ..

– وهل قامت أسرتها بإلغاء تلك الخطوبة ؟.

– ليس الأمر كذلك حقاً .. الواقع أننا تشاجرنا بسبب موضوع ما .. كان عندها أحد طيور الزينة .. وقصمت رقبته .. دعنا ننسَ الموضوع إذ ليس من اللائق أن نذكر ذلك الآن .

وهز كتفيه وكأنه يزيح من على كاهله عبئاً ثم قال :

– لا تظن أنها قد سامحتني .. وأظن أن ذلك أمر طبيعي

فقال لوك :

ـ أعتقد أنها قد سامحتك .

فتلألأ وجه لورد هوايتفيلد وقال:

ـ أتظن ذلك ؟. انني سعيد .. أنت تعلم انني أحترم هونوريا لأنها امرأة قديرة وسيدة محترمة ، وتلك أشياء لها قدرها حتى في هـذه الأيام وهي تدير المكتبة إدارة قديرة ..

ورفع رأسه وتغير صوته وقال :

ـ هاللو .. ها هي بريدجت قادمة .

الفصل السادس عشر

الأناناس

وشعر لوك يتوتر في عضلاته وهو يرى بريدجت تقترب.. ولم يكن قد دار بينهما حديث على انفراد منذ ذلك اليوم الذي تمّ فيه لعب التنس ، وكان كلاهما قد ابتعد عن الآخر وكان ذلك وفق خطة مرسومة .. واختلس نظرة اليها فرآها هادئة وسمعها تقول :

– لقد بدأت أعجب ماذا حدث لك يا جوردون ؟.

فقال لورد هوايتفيلد :

– لقد بلغت الوقاحة بذلك الشخص المدعو ريفز أن يأخذ سيارتي الرولز رويس مساء اليوم .

فقالت بريدجت :

– هذا يعد عيباً في الذات الملكية .

– ليس بالأمر الحسن أن تجعلي من هذا الموضوع مادة للضحك يا بريدجت فالأمر أخطر من ذلك .. لقد أخذ فتاة في السيارة .

– أظن أنه لم يكن ليشعر بالسرور لو كان قد ذهب في السيارة وحده .

ورفع لورد هوايتفيلد من قامته وقال :

– لا بد أن أحقق المثل العليا في منزلي .

– إن أخذ فتاة في سيارة ليس مضاداً للمثل العليا .

– بل الأمر كذلك عندما تكون السيارة ملكي .

– هذا بالطبع أمر أشد وأقسى من مجافاة المثل العليا ، بل انه يكاد يقرب من الكفران ولكنك لا تقدر على تجاهل التجاوب العاطفي كلية يا جوردون ، فالقمر الآن بدراً إن الليلة الصيفية التي يجتمع فيها السحرة قد قربت .

فتساءل لوك :

– هل الأمر كذلك حقاً ؟

ونظرت بريدجت اليه وقالت متسائلة :

– يظهر ان ذلك يثير اهتمامك ؟

– الأمر كذلك ..

واستدارت بريدجت مرة اخرى نحو لورد هوايتفيلد وقالت :

– لقد وصل ثلاثة أشخاص غير عاديين إلى فندق « بلز وموتلي » ، الأول منها رجل يرتدي « بنطلوناً » قصيراً ويضع على عينيه نظارة ويرتدي قميصاً حريرياً ملوناً ، أما الشخص الثاني فهو أنثى قد نزعت شعر حاجبيها وترتدي ثوباً ملفتاً للأنظار ، وتتزين بكمية كبيرة من حبات العقود وترتدي في قدميها حذاء صنع على الطراز الفرعوني ، أمـا الشخص الثالث فهو رجل ممتلىء الجسم يرتدي حلة وحذاء لونها قرمزي ،وأنا نفسي أشك في أنهم أصدقاء لمستر الزورثي وقد ذكرت محررة باب الاجتماعيات في الصحيفة المحلية ما مؤداه ان الاشاعات تردد أن حفلاً ماجناً صاخباً سيقام الليلة في ساحة الساحرات .

واحمر وجه لورد هوايتفيلد وقال :

– لن أسمح بذلك .

– لا يمكنك ذلك يا عزيزي إذ أن ساحة الساحرات ملك الشعب .

– أنا لا أسمح لتلك الشعائر والطقوس اللادينية بأن تقام هنا ، وسأكشف

عن زيفها في صحيفتي المحلية التي لا تعنى بغير الكشف عن الفضائح .

وتوقف قليلاً ثم قال :

ــ عليك أن تذكريني بذلك حتى أكتب عنها مذكرة أعطيهـــا للمحرر « سيدلي » إذ أنني أزمع الذهاب إلى المدينة غداً .

وهنا علقت بريدجت في صوت به بعض السخرية :

ــ حملة لورد هوايتفيلد ضد السحر والشعوذة .. معتقدات العصور الوسطى لا تزال مزدهرة في قرية صغيرة هادئة .

وهنا حدّق لورد هوايتفيلد فيها وقـد انعقد حاجباه ، ثم استدار ودخل المنزل وهنا قال لوك في نبرة فيها مسحة من السرور !

ــ يجب أن تقومي بعملك بصورة أفضل من ذلك يا بريدجت .

ــ ماذا تعني ؟

ــ سيكون من المؤسف أن تفقدي عملك وخاصة ان مـــائة الألف من الجنيهات ليست ملكاً لك بعد، وكذلك الحال بالنسبة للماس واللآلىء ولو كنت مكانك لانتظرت حتى انتهاء حفل الزواج لأباشر ملكاتك في السخرية .

ونظرت بريدجت اليه في برود وقالت :

ــ أشكرك على اهتمامك بي يا عزيزي لوك ، لا سيما إذا كان أمر مستقبلي عزيزاً على قلبك إلى هذا الحد .

ــ لقد كانت الشفقة والاهتمام من ضمن فضائلي .

ــ لم لحظ ذلك .

ــ كذا ؟ انك تدهشينني ..

وأرادت بريدجت أن تغير موضوع الحديث فقالت :

ــ ماذا فعلت اليوم ؟

ــ استقصاء الأخبار كالعادة .

ــ وهل حصلت على نتائج ؟.

– لا ونعم ، كما يقول الساسة .. وبهـذه المناسبة هل توجد أية أدوات في المنزل ؟

– أظن ذلك .. ولكن أي نوع من الأدوات ؟

– اوه .. أية أدوات يمكن استخدامها يدوياً ويمكنني فحص بعضها .

وبعد انقضاء عشر دقائق كان لوك قد انتهى من اختيار ما يريده من الأدوات ووضعها في جيب ردائه فسألته بريدجت :

– هل تزمع اقتحام بعض الأماكن خلسة وعنوة ؟

– ربما .

– يظهر أنك لا تريد الافصاح بشيء عن ذلك الموضوع .

– حسناً .. إن الموضوع لا زال مليئاً بالمصاعب وأنا في موقف حرج. وأظن أنه من الأفضل لي أن أغادر هذا المنزل .

– إن أردت أن تتصرف كرجل فاضل فعليك بذلك .

– ولكن ما دمت مقتنعاً بأنني أقتفي الأثر الحقيقي الذي سيقودني إلى ذلك القاتل المجنون ، فإن ذلك يدفعني إلى البقاء .. وإذا كان لديك سبب وجيه مقنع يدعوني لمغادرة المنزل والنزول في فندق « بلز وموتلي » فإنني أرجو مصارحتي به .

وهنا هزت بريدجت رأسها نفياً :

– إذن أنا مضطر للبقاء هنا حتى ولو كان في ذلك إيلامك .

وابتسمت بريدجت ابتسامة حلوة وقالت :

– كلا مطلقاً .

وبعد لحظات تركها ليقوم بتغيير ملابسه استعداداً لتناول العشاء الذي تم في هدوء ، وبعدهـا انتقل الرجلان إلى غرفة التدخين حيث اكتسب لوك رضاء لورد هوايتفيلد ، وذلك بسبب استماعه وإنصاته في اهتمام إلى أقوال مضيفه .. وبعد فترة عاد الرجلان إلى غرفة الجلوس حيث قابلتهما بريدجت بقولها :

— لقد أمضينا وقتاً طويلاً :

فقال لوك :

— لقد كان حديث لورد هوايتفيلد شائقاً جداً .. حتى أن الوقت مر مثل وميض البرق إذ كان يذكر لي كيف أنشأ أول صحيفة له .

ومرت السهرة في هدوء وعاد لوك إلى غرفته لينام .. ومع ذلك فلم يكن في عزمه الذهاب إلى الفراش ، إذ كانت لديه خطط اخرى يزمع تنفيذها .. وما دقت الساعة معلنة انتصاف الليل حتى كان لوك ينزل الدرج وقـد انتعل في قدميه حذاء للتنس ، ودخل غرفـة المكتبة ثم خرج إلى خارج المنزل بواسطة النافذة .. وكانت الريح لا تزال تهب والسماء مليئة بالسحب التي حجبت نور القمر وسار لوك حتى وصل إلى مقر مستر الزورثي ، إذ كان يريد استكشاف بعض الأشياء وكان متأكداً من أن الزورثي وأصدقاءه لا بد أن يكونوا جميعاً في ساحة الساحرات في ذلك الوقت وأنه يجب أن ينتهز تلك الفرصة .

وتسلق لوك الحائط الخلفي للمكان الذي يقيم فيه الزورثي وأخرج الأدوات المختلفة من جيبه واختار منها واحدة استخدمها في فتح إحدى النوافذ، ودخل منها وكانت معه إحدى البطاريات فاستخدمها ليرى طريقه حتى لا يصطدم بالأثاث . وبعد مضي ربع ساعة كان قد تأكد له أن المنزل خال ، فابتسم لوك ابتسامة رضاء وبدأ في مهمته ، في البحث في كل مكان حتى عثر في أحـــد الأدراج على كتب ، ما أن وقع نظره عليها وعلى بعض ما جاء بها حتى رفع حاجبيه دهشة وتعجباً .. وعـــدا ذلك وجد بعض معلومات أثارت اهتمامه وكانت الأولى منها جملة كتبت بالقلم الرصاص في إحدى المفكرات تقول : « تسوية الموضوع مع تومي بيرز » ، وكان التاريخ يسبق مصرع ذلك الصبي بيومين اثنين فقط ، أما ثاني المعلومات فكان رسماً بالقلم لآمي جيبز وقد رسم صليب كبير باللون الأحمر على الوجه كله ، أما الشيء الثالث فكان زجاجة من دواء السعال .. ولم يكن في تلك الأشياء ، وهي فرادى ، مـا يدل على شيء

يمكن الاستناد اليه ، ولكنها إذا أخذت كمجموعة فإنهـــا قد تدل على بعض الأشياء .. وبدأ لوك يعيد الأمور إلى نصابها عندما وصل إلى سمعه صوت جعله يتجمد في مكانه ويطفيء بطاريته، وكان كل سمعه متجهاً إلى صوت مفتاح يدار في الباب فأسرع في خطوات متلصصة إلى باب الحجرة التي كان بها، ووضع عينه على ثقب في الباب ليرى من القادم وقد كان كل أمله ـ إذ كان القادم الزورثي ـ أن يذهب مباشرة إلى الطابق العلوي .. وفتح الباب .. ودخل منه الزورثي الذي أضاء نور الردهة .. وعندما رأى لوك وجهه بذل جهداً كبيراً حتى لا يشهق بصوت مرتفع يكشف عن وجوده ، فقد كان وجه الزورثي في صورة تكاد تختلف تماماً عن طبيعته، فقد كان الزبد يخرج من بين شفتيه وكانت عيناه تبرقان بريقاً غريباً وهو يسير في خطوات أقرب إلى القفز والرقص منهـــا إلى السير ، ولكن الذي أثار عجب لوك هو يدا الزورثي اللتان كانتا مخضبتان بلون أحمر قان .. لون أقرب ما يكون إلى لون الدم الجاف ... واختفى الزورثي بعد ارتقائه الدرج ، وبعد لحظة انطفأ نور الردهة .. وانتظر لوك برهة ثم خرج من مخبئه إلى الردهة في حذر ثم غادر المبنى من الطريق الذي دخل منه .. عبر النافذة .. وعندما أصبح خارج المنزل رنا ببصره إليه فشاهده مظلماً..ساكناً.. وجذب لوك أنفاسه وقال لنفسه :

ـ يا لله .. إن ذلك الرجل مجنون حقاً وإني لأعجب ماذا فعل ؟. أقسم أن الذي كان عالقاً بيديه ما هو إلا دماء .

وعاد إلى آسن مانور من طريق جانبي ، وعندما اقترب منه سمع حركة بين الأشجار فاستدار بسرعة وهتف متسائلاً :

ـ من هنا ؟

وخرج من بين الأشجار شبح طويل قد التفّ في رداء داكن حتى ان منظره بعث القشعريرة في نفس لوك ، وما ان أبصر بالوجه الشاحب الذي بدا من تحت غطاء الرأس حتى هتف قائلاً :

– بريدجت ؟.. لقد أفزعتني .

ولكنها تجاهلت ما قاله وسألته :

– لقد رأيتك تخرج فأين ذهبت ؟

– وهل تتبعني ؟

– كلا .. لأنك كنت قد ابتعدت كثيراً .. ومنذ ذلك الوقت وأنا أنتظر حضورك .

– إن ما حدث منك يدل على التهور .

ولكنها رددت سؤالها السابق في نفاد صبر:

– أين كنت ؟

فقال لوك في مرح :

– لقد كنت أقوم بعملية تلصص على الزوورثي .

– وهل وجدت شيئاً ؟

– لا أعرف بعد ... وإن كنت قد عرفت أشياء عن هوايات ذلك الخنزير ووجدت بجانب ذلك ثلاثة أشياء قد يكون لها دلالتها .

وأنصتت بريدجت في انتباه إلى ما يقوله..وبعد أن انتهى من سرد مغامرته قال لها مؤنباً :

– لم يكن يجدر بك الحضور وحدك يا بريدجت ، فالله وحده يعلم ماذا كان يفعل ذلك الرجل ... وكان يمكن لأي شخص أن يضربك بشيء على رأسك .

وضحكت بريدجت وهي ترتعش وقالت :

– وهذا ينطبق عليك أيضاً يا عزيزي .

– ولكنني أعرف كيف أحافظ على نفسي .

– وأنا أيضاً كذلك .

– إذن هيا بنا إلى المنزل .

– انتظر .

ـ لماذا ؟

واقتربت منه ثم بدأت تحدثه في صوت خافت مرتعش :

ـ لأن عندى ما أود أن أذكره لك ، وهذا بعض ما دفعني إلى انتظارك في هذا المكان لأقص عليك ما عندى قبل أن ندخل إلى المنزل .. الذى يملكه جوردون .

ـ حسناً .

وضحكت ضحكة قصيرة فيها مرارة وقالت :

ـ إنه أمر بسيط جداً ... أنت الرابح يا لوك .. هذا هو كل شيء .

فسألها في حدة :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ أعني أنني تخليت عن فكرة كوني ليدى هوايتفيلد .

واقترب منها خطوة وسألها :

ـ أهذا صحيح ؟

ـ نعم يا لوك .

ـ وهل ستتزوجين مني ؟

ـ نعم ..

ـ إني لأعجب .. لماذا ؟.

ـ أنا أيضاً لا أعرف ..

وأخذها بين ذراعيه .. وقبّلها ثم قال :

ـ إنها دنيا عجيبة .

ـ لوك .. هل أنت سعيد ؟

ـ ليس تماماً .

ـ أتظن أنك ستكون سعيداً معي ؟

ـ أنا لا أعرف ذلك ولكنني سأخاطر بذلك .

ثم وضع ذراعه حولها وبدآ في السير نحو المنزل عندما ظهر القمر من وراء السحب ، وكان بصر بريدجت متجهاً نحو الأرض عندما أمسكت بذراع لوك فجأة وأوقفته عن السير وهتفت قائلة :

ـ لوك .. أنظر .. ما هذا ؟

وجذب لوك ذراعه من بين يدى بريدجت وانحنى لينظر إلى مـا استرعى انتباهها ، ثم رفع رأسه فوجد أن قطعة الحجر التي كانت مصنوعة على شكل ثمرة الأناناس والتي كانت تزين قائمـة البوابة لم تعد بعد في مكانها .. واعتدل واقفاً ثم قال :

ـ إنه السائق ريفرز .. وهو ميت .

ـ لا بد أن الحجر قد سقط عليه لأنه كان غير مثبت جيداً في مكانه، ولا بد أن الريح قد دفعته .

وهزّ لوك رأسه نفياً وقال:

ـ لا يمكن للريح أن تفعل ذلك .. إنها وسيلة مدبرة .. حادثة أخرى .. ولكنها حادثة مزورة .. إنه القاتل مرة أخرى .

ـ لا .. لا .. يا لوك .

ـ وأنا أؤكد لك أن ذلك ما حدث. أتعرفين ماذا وجدت في الجزء الخلفي من رأسه بالاضافة إلى الدم وغير ذلك ؟. ذرات من الرمال .. ولا يوجد رمل هنا . ولا بد أن شخصاً انتظره هنا ثم عاجله بضربة على قمة رأسه ثم طرحه أرضاً وأسقط ذلك الحجر الذى يمثل ثمرة الأناناس فوقه .

وهنا هتفت بريدجت في ضعف :

ـ لوك .. أنظر .. توجد دماء على يديك .

فقال لوك :

ـ وهنا دماء على يد أخرى .. أتعرفين فيمَ كنت أفكر مساء اليوم ؟ إنه إذا حدثت جريمة أخرى فإننا سنعرف بالتأكيد من هو القاتل ، وها نحن نعلم،

إنه الزورثي .. فقد كان في الخارج الليلة وعاد بيدين ملطختين بالدماء وهو يقفز ويرقص كالمجنون .

ونظرت بريدجت إلى الجثة الملقاة على الأرض وتمتمت :

– يا للمسكين ريفرز .

فقال لوك في شفقة :

– نعم إنه مسكين ... لقد كان حظه سيئاً ، ولكن هذا الحادث قد وضع نهاية للحظ السيىء يا بريدجت .. إذ نحن نعلم الآن من القاتل وسنقبض عليه .

فقالت بريدجت في خوف :

– لوك .. إنني خائفة .

فقال لها مطمئناً :

– لقد انتهى كل شيء يا حبيبتي .. انتهى كل شيء .

فتمتمت :

– كن رقيقاً في حديثك .. أرجوك .. فقد تألمت كثيراً .

فردّ عليها قائلاً :

– آن لنا أن نفرغ من هذا الحديث الأليم ، ولن نرجع إليه بعد الآن .

الفصل السابع عشر

اللورد هوايتفيلد يتكلم

نظر الدكتور توماس إلى لوك من مقعده في عيادته الخاصة وقال :

– رائع .. رائع .. هل أنت جاد يا مستر فيتز ويليم ؟

– تماماً .. أنا متأكد أن الزورثي رجل مجنون خطير ...

– إنني لم أعطِ الرجل أية عناية خاصة ، ولكنني متأكد أنه غير طبيعي .

فقال لوك :

– وأنا أقول لك أنه أخطر من ذلك .

فقال توماس :

– هل أنت متأكد ان ذلك الرجل ريفرز قد قتل ؟

– نعم ... أنا متأكد من ذلك .. هل لاحظت تلك الذرات من الرمـــال على الجروح ؟

فأومأ دكتور توماس برأسه وقال :

– لقد بحثت عنها بعد الذي ذكرته لي ، وأنا أقر بصحة ما تقول .

– إذن هذا يعني ان الحادث قد دبر وان الرجل قد قتل اثر ضربة بكيس مملوء بالرمال .

– ليس ذلك بالأمر الضروري .

– ماذا تعني ؟

واضطجع دكتور توماس إلى الوراء في كرسيه وقال :

– لنفترض ان ذلك الرجل ريفرز كان يرقد في الرمال أثناء النهار ، فإن ذلك يعد تفسيراً كافياً للرمال الموجودة في رأسه .

– ولكنني أقول لك أنه قد قتل .

– يمكنك أن تقول ذلك ، ولكن ذلك لا يعني ان تلك هي الحقيقة .

وضبط لوك أعصابه وهو يقول :

– أظن أنك لا تصدق حرفاً مما قلته لك .

فقال دكتور توماس وهو يبتسم في تعال :

– يجب أن تعترف أن قصتك فيها الكثير من الخيال يا مستر فيتز ويليم .. فأنت تؤكد أن ذلك الرجل الزورثي قد قتل خادمه وصبياً وسكيراً ثم شريكي وأخيراً ذلك الرجل ريفرز .

– ألا تصدقني ؟

وهز دكتور توماس كتفيه وقال :

– إنني على علم ببعض الشيء بحادث همبلي وأظن أنه من المستبعد أن يكون لالزورثي أية علاقة بموته.

وقال لوك معترفاً :

– أنا أقرُّ إنني لا أعرف كيف أمكنه عمل ذلك ، ولكن كل شيء يتفق وقصة مس بينكرتون .

– إذن أنت تؤكد إنه تتبعها إلى لندن وصدمها بسيارة ، ومع ذلك فليست لديك أية قرينة على ذلك .

– أنا الآن متأكد وليس أمامي إلا أن أصل إلى القرائن المدعمة وسأذهب إلى لندن غداً لأرى صديقاً قديماً لي يعمل في الشرطة ، وأنا متأكد من أنه

سيأمر بعمل تحريات دقيقة .

– انك تبني كل شيء على ما قالته مس بينكرتون ولكنك لو عرفت العوانس معرفتي لهن ، لما أخذت كل شيء على محمل الصدق .

فقال لوك :

– انك رجل كثير الشكوك .

فقال توماس :

– أعطني فقط بعض الأدلة المؤكدة وأنا أصدقك بدلاً من أقوال امرأة عجوز .

فقال لوك في تذمر :

– ألا تعرف انني كنت من رجال الشرطة ؟ وانني لست من الهواة ؟

فتمتم دكتور توماس وهو يبتسم في سخرية :

– شرطي من مضيق مايانج ؟

– إن الجريمة هي الجريمة حتى ولو كانت في مضيق مايانج .

– طبعاً .. طبعاً .

وعلى هذا الحال ترك لوك عيادة الدكتور توماس وهو في حالة كبيرة من الضيق والتقى ببريدجت التي سألته :

– كيف سارت الأمور ؟

– إنه لم يصدقني وأظن أن لديه كل الحق في ذلك لأنها قصة خيالية دون أية وقائع تؤيدها .

فقالت بريدجت :

– أناشدك أن تكون حذراً يا لوك .

– إنني على حذر وسأبذل كل جهدي للابتعاد عن الأخطار .

– إنه شعور غريب أن أحس بأنك مهدد بالأخطار .

– لا يهم ما دمت أنت في مأمن يا حبيبتي .

– ربما لا أكون كذلك .

ـ لا أظن .. ولكنني لن أخاطر وسأراقبك وأحميك كملاك حارس .

فقالت بريدجت :

ـ هل هناك أية فائدة من اطلاع الشرطة هنا على الموضوع ؟

وفكر لوك قليلاً ثم قال :

ـ لا أظن ذلك والأفضل أن أذهب فوراً إلى سكوتلانديارد .

فقالت بريدجت في تمتمة :

ـ وهذا ما ظننته أيضاً مس بينكرتون .

وهنا قال لوك :

ـ وماذا بشأن هوايتفيلد ؟

فقالت بريدجت في سرعة :

ـ دعنا نترك هذا الأمر حتى تعود غداً فنصارحه .

ـ أتظنين أنه سيتألم ؟

ـ انه لن يكون مسروراً .. فإن جوردون لا يحب أن يضايقه أحد .

فقال لوك في هدوء :

ـ إن الموضوع كله لا يسرني ..

وكان ذلك حال لوك عندما جلس في تلك الليلة ليستمع مرة أخرى إلى تفاخر لورد هوايتفيلد الذي مضى يتحدث عن موت سائقه فقال في مباهاة :

ـ لقد ذكرت بالأمس ان ذلك الرجل سيلاقي نهاية سيئة .. ألم أقل لك ذلك ؟.

ـ لقد قلت ذلك حقاً.

ـ وهكذا ترى أنني كنت على حق ومن الغريب ان أحكامي صائبة دوماً .

ـ لا بد أن ذلك يعتبر رائعاً بالنسبة لك .

ـ نعم ... لقد كانت حياتي دائماً رائعة والطريق أمامي في هذه الحياة جد ممهد ، ذلك لأنني أؤمن بالله وأثق فيه ، وهذا هو السر الحقيقي لنجاحي يا فيتز

ويليم ، فأنا رجل متدين أعرف الخير والشر وأميز بينهما وأعرف أن هناك عدالة سماوية .

– وأنا أيضاً أومن بالعدالة .

– نعم .. كن صادقاً ومخلصاً في أفعالك بالنسبة لخالقك وستجده يساندك في كل أفعالك.. لقد كنت دائماً أتصدق من أموالي التي جمعتها عن طريق شريف وأنا لا أحني رأسي لأي مخلوق،ولذا تجدني وحيداً ولكنني ذلك الرجل القوي وأعدائي يتساقطون واحداً اثر الآخر .. أنظر إلى حادث الأمس فقد حاول ذلك الرجل إيذائي ، حتى أنه رفع يده عليّ وهأنتذا تعرف ما حدث .. أين هو الآن ؟

وصمت برهة ثم أضاف قائلاً :

– إنه الآن قد مات نتيجة تدخل العناية الالهية .

وفتح لوك عينيه دهشة وقال :

– ألا ترى معي أنه عقاب شديد بالنسبة لكلمات قيلت في لحظة كان فيها قائلها مخموراً بعض الشيء ؟

فهز لورد هوايتفيلد رأسه وقال :

– نعم .. لقد كان الأمر كذلك دائماً ، فإن من يقف ضدي يعاقب في شدة وسرعة .. ولقد حدث ذلك لي دوماً مع أعدائي .. حتى مع ذلك الصبي الذي كان يعمل في خدمتي ففاجأته يوماً في الحديقة وهو يقلدني..يقلدني أنا.. ويسخر مني .. أمام جمهرة من الناس يضحكون على أفعاله فوق الأرض التي أمتلكها . فهل تعرف ماذا حدث له ؟.. لم تمضِ عشرة أيام حتى سقط من نافـذة علوية وقتل ، ثم أنظر إلى ذلك الرجل السكير كارتر .. لقد جاء إلى هنا وترك لسانه السليط يسبني فماذا حدث له ؟. لقد غرق بعد أسبوع واحد من ذلك الحادث. كما أنه كانت توجد هنا فتاة رفعت صوتها عليّ وألصقت بي بعض الصفات التي لا تليق، فإذا بها تلقى عقوبتها بسرعة إذ تجرعت سماً بطريق الخطأ.. ويمكنني

أن أضيف إلى كل ذلك أيضاً همبلي الذي عارضني في مشروع المياه ،فمات بعد أيام نتيجة تسمم دموي .. إن ذلك يسير على نفس الحال منذ أعوام ، فعندك مثلاً مسز هورثون التي كانت جافة في معاملتها لي ، لم يمضِ عليها وقت طويل حتى ماتت ..

وتوقف برهة ليقول بعدها :

– نعم ... لقد مات كل من وقف ضدي .. أليس ذلك غريباً ؟.

ونظر لوك اليه في دهشة وقد قفز إلى خاطره شك غير معقول دفعه إلى أن ينظر إلى الرجل القصير الماثل أمامه في عجب سافر ، بينما تمتم لورد هوايتفيلد وهو يبتسم في سرور ويومىء برأسه إلى لوك :

– نعم ... كلهم ماتوا .

الفصل الثامن عشر

مؤتمر في لندن

مضى سير ويليم اوسينجتون يحدق في ضيفه ـ وقد دهش ـ ثم قال :

ـ ألم يكفك ما قابلت من الجرائم في مايانج حتى تأتي إلى هنا لتكتشف لنا جرائمنا ؟

فقال لوك :

ـ لم تكن الجرائم في مايانج بالجملة كما هو الحال في هـذه الآونة ، فأنا ضد رجل ارتكب على الأقل ست جرائم ولم يكتشف أمره .. وهو لا يظن بعد أنه قادر على أن يكون الهاً ، ولكن لن يمضي وقت طويل قبل أن يظن ذلك في نفسه .

ـ أهو مجنون ؟

ـ لا شك في ذلك.

ـ إذن دعنا من الاصطلاحات الفنية وحدثني بما تريد .

ـ إن ما أريده منك هو بعض المعلومات ، فقد وقعت حادثة في الطريق يوم سباق الدربي بين الساعة الخامسة والسادسة مساء ، إذ دهمت سيارة سيدة عجوزاً اسمها لافينيا بينكرتون ولم تتوقف السيارة، وأنا أرغب في معرفة كل ما

يتعلق بتلك الحادثة .

وتنهد سير ويليم وقال :

– سأحضر لك ما تريد خلال عشرين دقيقة .

وفعلاً لم تمض تلك المـدة حتى كان لوك يتحدث شخصياً إلى رجل الشرطة الذي كان قد وكل اليه أمر تلك الحادثة والذي قال له :

– إننا لم نقبض قط على الفاعل ، ولكن من المؤكد أن السيارة التي دهمتها كانت من ماركة رولز رويس ، ولقد ذكر أحد الشهود انه التقط رقم السيارة وانه كان ف ذ × ٤٤٩٨ ولكن اتضح لنا ان ذلك الرقم خطأ .

فقال لوك في سرعة :

– وكيف عرفت ان ذلك الرقم غير صحيح .

– لأن ذلك الرقم خاص بسيارة هوايتفيلد التي كانت تقف في ذلك الوقت أمام بلومينجتون هاوس ، وكان السائق يتناول وقتها الشاي وعنده من يشهد على ذلك وعلى ان السيارة لم تترك مكانها حتى بعد منتصف الساعة السادسة .

وأومأ لوك برأسه وكأنه قد اقتنع بما ذكر له وشكر رجل الشرطة الذي انصرف ، وهنا سأل سير ويليم ضيفه قائلاً :

– ما الأمر يا فيتز ؟

فتنهد لوك وقال :

– ان الأمر كله واضح فقد حضرت مس بينكرتون إلى هنا لتذكر – إلى رجال سكوتلانديارد المهرة – شكوكها المتعلقة بالقـــاتل وكانت تأمل في الاستماع اليها .

– من المحتمل اننا كنا سنستمع اليها .

– ولا بد أن هذا هو ما دار في عقل القاتل ، فرأى أن يتخلص من لافينيا بينكرتون ولو أن أحد الشهود قد التقط رقم سيارته .

وهنا استوى سير ويليم في مقعده وقال :

– هل تعني ...

– نعم .. وأنا على استعداد لأن أراهنك بأي شيء على أن هوايتفيلد هو الذي صدم تلك السيدة ، ولو أنني لا أعرف بعد كيف قام بعمل ذلك ومن المحتمل أن يكون قد ارتدى معطفاً وقبعة كسائق .. ولكنني أؤكد أنه فعل ذلك .

– هذا مستحيل .

– ليس ذلك مستحيلاً فقد كان الرجل بالأمس فقط يتشدق بذلك .

– إذن هو رجل مجنون ؟

– نعم .. إنه مجنون .. ولكنه مجنون ماكر فكن على حذر منه ولا تدعه يشك في أنك تشتبه فيه .

– فتمتم سير ويليم قائلاً :

– غير معقول ...

فقال لوك :

– ولكنه الواقع .

وعقب ذلك تحدث الرجلان في الموضوع بعض الشيء وقام بعدها لوك ليعود إلى ويتشوود ، وهناك توقف بسيارته أمام منزل مس وينفليت ودعته الخادمة إلى الدخول حيث وجد مس وينفليت جالسة أمام المائدة .. وما أن رأته حتى قامت من مقعدها واستقبلته في دهشة دفعته لأن يقول :

– يجب أن أعتذر اليك عن حضوري في هذه الساعة .

ثم تلفت حواليه فوجد أن الخادمة قد غادرت الغرفة وأغلقت الباب وراءها فقـــال :

– سأسألك يا مس وينفليت سؤالاً شخصياً ، وأرجو أن تغفري لي هـذا السؤال ..

– أرجو أن تسألني ما شئت من الأسئلة .

ــ أشكرك .

وتوقف لوك قليلاً قبل أن يقول :

ــ أريد أن أعرف بالضبط كيف فصمت خطبتك للورد هوايتفيلد منذ سنوات عدة .

ويظهر أنها لم تكن تتوقع ذلك السؤال ، إذ ارتفعت الدماء إلى وجهها كما ارتفعت إحدى يديها إلى صدرها في حركة لا شعورية وسألته :

ــ هل ذكر لك شيئاً ؟.

فأجاب لوك :

ــ لقد ذكر لي شيئاً يتعلق بطائر .. طائر دق عنقه .

فقالت متسائلة ومتعجبة :

ــ هل ذكر لك ذلك؟.. أتعني أنه اعترف بذلك ؟.. انه أمر غير معقول.

ــ هلا ذكرت لي الموضوع بحذافيره .

ــ نعم .. سأقول .. ولكنني أتوسل اليك ألا تدلي اليه بشيء مما سأقوله .. فقد كان ذلك في الماضي الذي انتهى ولا رجعة له ولا أريد أن أثير غبار الماضي.

وأتبعت ذلك بنظرة توسل ورجاء ، فأومأ لوك برأسه مطمئناً فقالت :

ــ أشكرك .. لقد حدث مـا يلي .. كان عندي طائر من نوع الكناريا .. وكنت مغرمة به جداً مثل أية فتاة غريرة في ذلك الوقت ، ولا بد أن شغفي به أثار الرجل .. فقد كان جوردون يغار من ذلك الطائر .. إذ قال لي في أحد الأيام وقد ثارت عصبيته . « أعتقد انك تحبين ذلك الطائر أكثر مني » فأجبته: مثل أية فتـاة غريرة .. وأنا أضع الطائر على اصبعي .. « نعم .. انني أحبك أيها الطائر الصغير العزيز أكثر بكثير من أي صبي يافع .. » .. أوه .. لقد كان الأمر مفزعاً ، إذ أمسك جوردون بالطائر فجأة ودق عنقه .. وكانت صدمة لي لا يمكن أبداً أن أنساها .

ــ وهكذا فصمت خطوبتك ؟

– نعم .. فإنني لم أعد بعد ذلك أشعر بنفس الشعور الذي كان يختلج في جوانحي ، إذ انني شعرت أنه كان في سرور وهو يفعل ذلك وهـذا ما أشعل نيران خوفي .

فتمتم لوك :

– حتى في ذلك الوقت البعيد .. حتى وقتذاك .

وهنا وضعت مس وينفليت يدها على ذراعه وقالت :

– مستر فيتز ويليم ..

ورفع لوك بصره اليها ليرى في عينيها نظرة رجاء .. فقال :

– ان لورد هوايتفيلد هو الذي ارتكب كل تلك الجرائم .. وأنت قد عرفت ذلك .. أليس كذلك ؟

فهزت رأسها في عنف وقالت :

– نعم .. إنني لم أعرف ذلك .. لو كنت قد عرفت ذلك حقاً لتكلمت .. ولكنني كنت أخاف أن يكون الأمر كذلك.

– ومع ذلك لم تذكري لي شيئاً ؟

– وكيف كان ذلك في مقدوري .. لقد شغفني حبه يوماً ما .

– نعم .. أعرف ما تعنين .

ومسحت عينيها بمنديل التقطته من حقيبتها ثم قالت :

– انني مسرورة لأن بريدجت فصمت خطوبتها معه .. وأنها ستتزوجك .. أليس كذلك .

– بلى ...

وهنا تغير لون وجه مس وينفليت وقالت :

– ولكن يجب أن يأخذ كل منكما حذره .

– أتعنين من لورد هوايتفيلد ؟

– نعم .. ومن الأفضل ألا يذكر له أحدكما ذلك .

فقطب لوك جبهته وقال :
— لا أظن أن أحدنا يرغب في ذلك .
يظهر لي أن أحداً منكما لا يعرف أن ذلك الرجل مجنون .. مجنون تماماً .. وانه لن يرضى بذلك .. وإذا حدث لها شيء .
— لن يحدث لها أي شيء ..
— نعم .. أعرف ذلك .. ولكنني أرجو أن يكون في تقديرك انك لست نداً لذلك الرجل في مكره ، خذها بعيداً فوراً ، هذا هو أملك الوحيد.. دعها تغادر البلاد .. أو غادرا البلاد سوياً .
فقال لوك في بطء :
— أظن أنه من الأفضل لها الرحيل ، ولكنني سأبقى .
— لقد كنت أخاف أن تقول ذلك ، ولكن دعها ترحل فوراً .
فأومأ لوك برأسه وقال :
— أظن انك على حق .
— أنا أعرف انني على حق ، دعها ترحل .. قبل أن يتأخر الوقت .

الفصل التاسع عشر

فصم الخطوبة

سمعت بريدجت صوت سيارة لوك وهي قادمة فأسرعت تستقبله وقالت بدون مقدمات :

– لقد قلت له.

– ماذا ؟

قالها وقد ظهر على وجهه اليأس .

– لوك .. ماذا حدث ؟ ولماذا تضطرب هكذا ؟

فقال من بطء :

– ظننت اننا قد اتفقنا على ارجاء أخباره حتى أعود .

– أعرف ذلك ولكنني ظننت أنه يحسن أن ننتهي من الموضوع فقد كان يعد العدة للزواج فلم أجد مفراً من اخباره وهو أمر تقتضيه اللياقة .

– أحياناً يكون لا مفر من عدم اتباع قواعد اللياقة .

– لوك .. ماذا تعني بذلك .

– لا يمكنني مصارحتك الآن خبريني كيف كان وقع الخبر عليه ؟

فقالت بريدجت في بطء :

– وقع حسن جداً على ما ظهر لي ، وأظن أننا قد غمطنا الرجل حقه فهو رجل عظيم فعلاً .

فأومأ لوك برأسه وقال :

– من المحتمل حقاً أن يكون رجلاً عظيماً ، ولكن عليك أن تخرجي من هنا في أسرع وقت ممكن .

– طبعاً إذ سأقوم بحزم حاجياتي اليوم ويمكنك أن تنقلني في سيارتك إلى القرية حيث يمكنني النزول في فندق « بلز وموتلي » هـــذا إذا كان أصحاب الزورثي قد غادروه .

فهز لوك رأسه وقال:

– كلا .. من الأفضل لك الذهاب إلى لندن وسأوضح لك فيما بعــد سبب ذلك ويحسن بي الآن أن أقابل هوايتفيلد .

وتركها لوك ودخل المنزل حيث وجد لورد هوايتفيلد يذرع حجرة الجلوس جيئة وذهاباً ، وكانت تظهر عليه علامات الهدوء – بعض الشيء – حتى أن ابتسامة كانت تداعب شفتيه وبرغم ذلك شاهد لوك عرقاً ينبض من جبهته نبضاً متتالياً ، واستدار اللورد عندما دخل لوك الغرفة وقال :

– آه .. ها أنت يا فيتز ويليم .

فقال لوك :

– لا داعي لأن أبدي أسفي على ما حدث لأن ذلك يعد نفاقاً وأنا أعترف انني تصرفت تصرفاً سيئاً من وجهة نظرك أنت، وليس لدي إلا القليل يمكنني ذكره دفاعاً عن نفسي ولكن كثيراً ما تحدث تلك الأشياء .

وعاد لورد هوايتفيلد إلى ذرع الغرفة وقال :

– تماماً .. تماماً .

– لقد عاملناك أنا وبريدجت معاملة شائنة ولكن الواقع ان كلا منا يحب الآخر وليس أمامنا إلا أن نذكر لك الحقيقة .

وهنا توقف لورد هوايتفيلد واستدار إلى لوك وقال في لهجة غريبة :

– كلا .. لم يكن في مقدوركما عمل أي شيء .

فقال لوك في حدة :

– ماذا تعني بذلك ؟

– ليس في مقدوركما عمل أي شيء فقد تأخر الوقت .

واقترب منه لوك خطوة وقال :

– خبرني ماذا تعني بذلك .

فقال لورد هوايتفيلد بدون توقع :

– اسأل هونوريا وينفليت وهي ستفهم ما أعنيه ، انها تعرف ما حدث فقد ذكرت لي ذلك مرة من قبل .

– ما هو الذي تفهمه هي ؟

فقال لورد هوايتفيلد :

– إن الشر لا يمكن أن يمضي طليقاً بلا عقاب .. ولا بـدّ أن تكون هناك عدالة ، فأنا آسف لأن حب بريدجت قد شغفني ، بل انني آسف لكليكما .

فسأله لوك :

– هل تهددنا ؟

وكان وقع السؤال على لورد هوايتفيلد بمثابة صدمة له إذ أسرع يقول :

– كلا ، كلا يا صديقي ، فعواطفي ليس لها دخل في الموضوع إذ انني عندما شرفت بريدجت باختيارها زوجة لى قبلت ذلك ، وبالتالي كان في قبولها تحملاً لمسؤوليات معينـة وهي الآن تتخلى عن تلك المسؤوليات ، ولكن لا يمكن التخلي عن المسؤوليات هكذا في هذه الحياة ، وان المرء إذا خالف القوانين فلا بد من أن يدفع عقوبة ذلك .

وضم لوك قبضتي يديه وقال :

– أتعني أن شيئاً سيحدث لبريدجت ؟ والآن افهمني جيداً يا هوايتفيلد..

لن يحدث شيء لبريدجت .. أو لي أنا .. وإذا حاولت شيئاً مثل ذلك ، فمعنى ذلك النهـــاية بالنسبة لك ومن الأفضل لك أن تكون حذراً فأنا أعرف الكثير عنك .

فقال لورد هوايتفيلد :

— إن الأمر لا يتعلق بي فما أنا إلا أداة لقوة عليا ، وما تقضي به تلك القوة يحدث ..

— أرى انك تعتقد حقاً ما تقوله .

— لأن تلك هي الحقيقة فكل من يقف ضدي يدفع الثمن ولن تكون أنت أو بريدجت استثناء لتلك القاعدة .

فقال لوك :

— ولكنك تخطىء في ذلك ، فمهما حالف الحظ فرداً فلا بد أن يتخلى عنه في النهاية وأنت قد اقتربت من نهايتك .

فقال لورد هوايتفيلد في هدوء :

— يا صديقي أنت لا تعرف ما تتحدث عنه ولا من تتحدث اليه ، إذ لا يوجد شيء يمكنه المساس بي .

— هكذا ؟.. سنرى ولكن عليك أن ترقب خطواتك جيداً يا هوايتفيلد .

— لقد فرغ صبري فاخرج من هنا .

— سأخرج بأسرع مما تتصور ، ولكن تذكر انني حذرتك .

وخرج لوك من الغرفة مسرعاً وارتقى الدرج إلى الطابق العلوي حيث وجد بريدجت في غرفتها تعد الحقائب بمعاونة خادمة فسألها :

— هل ستكونين مستعدة بعد قليل ؟

— بعد عشر دقائق .

ومضى لوك يرقبها حتى انتهت من حزم حقائبها ، وعندما همّا بمغادرة المنزل اعترضها رئيس الخدم وذكر ان مس وينفليت قد قدمت لزيارة بريدجت وأنها

ترغب في رؤيتها وانها تنتظرها في غرفة الجلوس ، وهناك وجدتهـــا مع لورد هوايتفيلد الذي بدأ الحديث قائلا :

– استمتعي بالحديث إلى بريدجت يا هونوريا لأنها لن تمكث معنا طويلا ، فاستدارت مس وينفليت اليه في سرعة وسألته في حدة :

– ماذا تعني بذلك ؟

وضحك لورد هوايتفيلد وقال :

– أعني انها ستذهب إلى لندن ، أليس ذلك صحيحاً ؟

ودار ببصره في الجميع ثم قال :

– إن عندى لك بعض الأنباء يا هونوريا .. بريدجت لن تتزوجني إذ انها تفضل فيتز ويليم هذا .. إن الحياة غريبة حقاً .. وسأترككم الآن لتتحدثا معاً .

وخرج من الغرفة فعقبت بريدجت بقولها :

– انني أشعر بأنه في أشد حالات الغضب .. إن هذا أمر فظيع فماذا ترانا سنفعل ؟

فقالت مس وينفليت :

– ما كان يجب عليك إخباره قط.

فقالت بريدجت :

– هراء ... إذن ماذا كنا نفعل غير ذلك ؟

– ما كان يجب عليك اخطاره الآن بعد خروجك من هنا .

فقالت بريدجت :

– هذا موضوع تختلف فيه الآراء ،ورأيي الشخصي أنه من الأفضل الانتهاء من المواضيع غير السارة في أسرع وقت ممكن .

– أوه يا عزيزتي ، ليت الأمر كان مقصوراً على ذلك فقط .

وسكتت ثم وجهت نظرة متسائلة إلى لوك ، الذى هزّ رأسه نفياً وكأنه يقول لا، فتمتمت مس وينفليت بما يفيد انها تعرف ما يريد قوله لها وهنا سألتها

بريدجت :

ـ أتريدين رؤيتي لسبب ما؟

فقالت مس وينفليت :

ـ إنني جئت لأطلب منك أن تكوني ضيفة عليّ بعضاً من الوقت ، إذ دار بخلدى انك لن تستريحي إذا أقمت هنا وانك قد تحتاجين إلى بضعة أيام تقضينها في هدوء لترسمي خطط المستقبل .

ـ أشكرك يا مس وينفليت إذ ان هذا يدل على طيبتك .

ـ لا تقولي هذا وخاصة أنك ستكونين آمنة معي .

فقاطعتها بريدجت متسائلة :

ـ آمنة ؟

فقالت مس وينفليت في ارتباك :

ـ أعني في راحة .. تامة عندى .

ـ شكراً ولكنني ذاهبة إلى مسكن عمي في لندن ، ولو انني أعرف أنها لن تكون موجودة هناك اليوم .

ـ أتعنين انك ستكونين في ذلك المنزل وحدك .. لا يجدر بك ذلك .

وقال لوك معقباً :

ـ الأفضل أن تذهبي إلى فندق .

فاستدارت بريدجت نحوه وقالت في حدة :

ـ لماذا ؟ ماذا دها كما ؟ لماذا تعاملانني وكأنني طفلة غريرة ؟

فاحتجت مس وينفليت بقولها :

ـ كلا .. كلا يا عزيزتي .. إن كل ما نريده منك أن تكوني على حذر .

ـ ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

فقال لوك :

ـ استمعي إليّ يا بريدجت . إنني أريد أن أتحدث اليك ، ولكن ليس

هنا فهيا بنا إلى منزل مس وينفليت .

وخرجا من المنزل وركبا سيارته وبعد أن أغلق الباب تنهد في ارتياح وقال :

— أشكر الله على أنني أخرجتك من هنا سالمة .

فقالت بريدجت :

— هل جننت يا لوك ، ما الأمر ؟

فقال لوك في تجهم :

— إن هناك الكثير من الصعوبات لايضاح ان رجلا لا يبدو كونه قاتلا ليس مما تحمد عاقبته لمكث داخل منزله طويلا .

*

وجلست بريدجت إلى جواره لحظة بلا حراك ثم قالت :

— جوردون ؟

وأومأ لوك برأسه :

— جوردون ؟. جوردون هو القاتل ؟. انني لم أسمع هراء مثل هـذا طوال حياتي .. إنه غير قادر على ايذاء فراشة .

فقال لوك :

— ربما يكون ذلك حقاً .. ولكنه قتل بالتأكيد عصفوراً من الكناريا وأنا واثق من أنه قتل عدداً كبيراً من الأشخاص .

— عزيزى لوك .. أقولها ببساطة انني لا أصدقك .

— أعرف ذلك فالأمر بعيد الاحتمال لأنني لم أشك فيه قط حتى الليلة قبل الماضية وعليك أن تغيرى كل آرائك فيه .

— من العبث يا لوك فأنا لا يمكنني تصديق ذلك ، ولا أعرف مـا الذى جعلك تثق في هذا الهراء الذى تقوله وخاصة انك منذ يومين كنت متأكداً من أن الزورثي هو القاتل .

فقال لوك :

– أعرف ذلك وربما يدور في خاطرك انني في الغـد سأتهم هورثون بأنه المجرم،وأعترف ان الفكرة مذهلة في أول الأمر ولكنك إذا تمعنت فيها وجدت أنها تتفق وما حدث وليس ذلك بعجيب ، إذا تذكرت ان مس بينكرتون لم تفكر في الذهاب بقصتها إلى السلطات المسؤولة المحلية لأنها كانت تعرف انهم سيسخرون منها ، ولذا كان أملها الوحيد هو في الذهاب إلى سكوتلانديارد .

– ولكن أى دافع يحمل جوردون يرتكب كل جرائم القتل تلك ؟

– ألا تدركين مقدار اعتزاز جوردون هوايتفيلد بنفسه اعتزازاً فيه مغالاة كبيرة ؟.

– إن الأمر لا يعدو كونه يظن في نفسه أنه رائع جداً ومهم جداً ، وهذا مجرد مركب نقص .

– ربما كان هذا هو سبب كل شيء،ولكني أرجوك يا بريدجت أن تفكري معي لحظة .. ألا تذكرين أنك قلت انه أحد المصابين بمرض جنون العظمة وان ذلك الجنون يقترن دائماً بصبغة دينية ؟

وفكرت بريدجت دقيقة ثم قالت :

– لا زلت غير مصدقة لما تقول .. فأى دليل لديك على صحة أقوالك ؟

– حسناً .. أقواله هو شخصياً إذ قال لي في صراحة ووضوح في الليلة قبل الماضية ان أى شخص يعترض طريقــه في أية صورة يموت .. وليست العبرة في الكلمات التي ذكرها ، وإنما في النبرات التي ألقاها بها ، ذلك لأنه يثق تمام الثقة من تلك الفكرة التي تمتلك عليه كل تفكيره وخاصة أنه ذكر لي قائمة بأسماء الذين عارضوه فلقوا حتفهم، وانه ذكر أسماء الذين ماتوا هنا وآخرهم السائق ريفرز.

وهنا ظهر على بريدجت أنها بدأت تفهم مدلول حديث لوك إذ بدا الشحوب على وجهها ووضعت يديها على عينيها وتمتمت

– هذا أمر فظيع .. فظيع جداً

– أعرف ذلك ولكنك لا تعرفين ان السيارة التي دهمت مس بينكرتون في لندن هي من نوع رولز رويس ، وان الرقم الذى قيل انها تحمله هو نفس رقم سيارة لورد هوايتفيد .

فقالت بريدجت في بطء :

– إذن هذا هو الدليل القاطع .

– نعم .. ولو أن شرطة لندن ظنت أن الشاهد الذى أعطاهم رقم السيارة كان مخطئاً .

– نعم ولا بد أن سبب ظنهم هذا كونه ثرياً ويحمل لقباً رفيعاً .

– كما أن مس وينفليت أشارت اليه في حديثها معي وأظنها كانت تأمل أن أهتدى بإيحائها .

– إذن كانت تعلم ؟

– كان لديها الشك الكبير وأظن أن ما جعلها مقيدة الحركة هو أنها كانت في يوم من الأيام على علاقة حب معه .

فأومأت بريدجت رأسها وقالت .

– نعم .. إن ذلك يفسر كثيراً من الأمور لأن جوردون ذكر لي مرة أنه كان مخطوباً لها وأنه فصم هذه الخطوبة .

– كلا .. انها هي التي فصمت الخطوبة وكان ذلك مرجعاً لقصة أليمة ... وقصّ عليها لوك قصة الطائر فسألته بريدجت :

– هل فعل جوردون ذلك ؟

– نعم كما أن مس بينكرتون ذكرت لي في القطار قبيل موتها ، إنني لا بد سأدهش مثلما دهشت هي حتى أنها ظنت أنها تتخيل أشياء لا نصيب لها من الصحة ، ولكنها بعد المرات الأولى والثانية والثالثة والرابعة تأكد لها أنها على صواب ، وأنه من السهل ارتكاب جريمة إذا عرف القاتل كيف يختار طريقة القتل وكان في منأى عن الشبهات .

وشعرت بريدجت بقشعريرة تسرى في جسدها ثم قالت :

– لا غرو في أن تلك الكلمات علقت بذاكرتك ، وبالطبع يكون الأمر من السهل جداً تصديقه بالنسبة لرجل في مركز جوردون .

– نعم ولكن ليس من السهل ضبطه .

– أتظن ذلك ؟ إن لدى فكرة في أنني قد يمكنني مساعدتك في ذلك .

– بريدجت .. إنني أمنعك .

– لا تقدر على ذلك فليس في مقدور المرء أن يستكين ويخلد إلى الأمان .. انني معك في هذا يا لوك .. وقد يكون الأمر أخطر مما تظن .. أعترف بذلك ولكن عليّ أن أقوم بواجبي .. وسأقبل دعوة مس وينفليت .

نعم .. ان الأمر جد خطير بالنسبة لكل منا .. أعلم ذلك .. ولكننا في هذا الموقف معا يا لوك .. معاً .

الفصل العشرون

« القفـــاز »

جلست بريدجت في الغرفـــة مع مس وينفليت في منزل الأخيرة التي قالت لها :

ـ إن غرفتك لم تعد بعد يا عزيزتي ، ولكن الخادمة اميلي تقوم بذلك الآن وحتى تنتهي من عملها سأعد لك قدحاً من الشاى .

ـ إن ذلك عمل يدل على دماثة خلقك يا مس وينفليت ، ولكن الحقيقـة انني لا أريد شيئاً الآن .

والواقع ان بريدجت كانت تفضل كوكتيلا ، خاصة وانها كانت لا تحب الشاى لأنه كان يسبب لها عسر هضم، ولكن مس وينفليت غادرت الغرفة رغم الاحتجاجات وعادت بعد دقائق وقد حملت بين يديها صينية عليهـــا قدحان مليئان بالشاى المعطر .

وفي تلك اللحظة دخلت الخادمة اميلي ونادت سيدتها وسألتها عن الحشيات التي ستوضع في فراش الضيفة ، ممـا دفع مس وينفليت إلى الخروج من الغرفة بسرعة ،وانتهزت بريدجت تلك الفرصة وألقت ـ في سرعة ـ ما يحتويه قدحها من النافذة وعادت إلى مقعدها قبل أن تعود مس وينفليت إلى الغرفة بلحظات

وتبادلت الاثنتان بعض الكلمات العابرة قبل أن يدق جرس التليفون فأسرعت اليه بريدجت لتجد أن المتكلم هو لوك الذى ذكر لها أن حقائبها ستتأخر في الوصول اليها إلى ما بعد الغداء وذلك لأن أحد المفتشين من سكوتلانديارد قد وصل وانه يريد أن يتحدث معه ، كما أنه أبدى رغبته في أن يلقي عليها بعض الأسئلة وعادت السماعة إلى مكانها ثم عادت لتتحدث إلى مضيفتها . . وبعد دقائق شعرت بالتعب ثم تثاءبت ، فأظهرت مس وينفليت اهتماماً مفاجئاً وقالت :

– إنك متعبة يا عزيزتي ومن الأفضل لك أن ترقدى.. لا .. أظن أن ذلك سيضرُ بك قبل أن تتناولي طعام الغـــداء .. وكنت قد اعتزمت حمل بعض الملابس القديمة إلى سيدة فقيرة تقطن كوخاً ليس بعيداً عن هنا وسط الحقول فماذا لو جئت معي ؟

ووافقت بريدجت على ذلك وخرجت الاثنتان وقد ارتدت مس وينفليت قبعة من الخوص وقفازاً ، وأثار القفاز عجب بريدجت ولكنها لم تنبس بحرف وبعد مسيرة بضع دقائق ــ وكان اليوم حاراً ــ اقترحت مس وينفليت أن يجلسا للراحة قليلا ، ووافقت بريدجت وهي تشعر بالنعاس وجلست وأغمضت عينيها من التعب ، وهنا سمعت مس وينفليت تخاطبها بقولها :

– أنت في شدة النعاس يا عزيزتي .. أليسَ كذلك ؟

وسمعت بريدجت تلك الكلمات في صوت عادي ولكنه كان يحمل بين طياته نبرة غريبة دفعت بريدجت إلى فتح عينيها فجأة لتجد مس وينفليت قد انحنت فوقها وعينيها ترقبانها بنظرة متلهفة ولسانها يمر على شفتيها وسمعتها تعيد قولها :

– أنت في شدة النعاس .. أليس كذلك ؟

وهنا لم تعد نبرة الصوت غريبة المعنى على سمع بريدجت .. وفي لمح البصر دار في خلدها حقيقة الوضع السيىء ، وأنحت على نفسها باللائمة إذ تذكرت فجأة الشاي .. لا بد أنه كان يحوي مخدراً . وتذكرت أن مس وينفليت لا تعلم انها لم تشربه ، وعليها أن تقوم بتمثيل دورها وكأنها في حالة تخدير وعلى ذلك أغلقت

عينيها مرة أخرى وقالت في صوت يوحي بالنعاس :

– نعم .. في شدة النعاس.. إن ذلك أمر غريب فأنا لم أشعر من قبل بنعاس مثل هذا .

وفجأة تفتق ذهنها عن السبب الذي من أجله ارتدت مس وينفليت في يديها قفازاً .. ومن بين جفنيها الشبه مغلقتين مضت ترقب مس وينفليت فرأتها تخرج في هدوء سكيناً ، كانت قد شاهدت لورد هوايتفيلد ممسكاً بهـــا في يده قبل مغادرتها لمنزله – عندما قابلت هناك مس وينفليت – ووضح لها كل شيء .. السكين لا بد أنها لا تزال تحمل بصمات أصابع هوايتفيلد .

وأحسّت أنها وشيكة على الاغماء ؟ ولكنها فتحت عينيها وقالت في صوت جملته يبدو ضعيفاً وغليظاً :

– ما هذا ؟. سكين ؟

وهنا ضحكت مس وينفليت ضحكة غريبة كأنها غير صادرة من إنسان بشري وقالت :

– انها لك يا بريدجت .. لك .. لقد كرهتك كما تعلمين منذ زمن بعيد .

– هل لأنني كنت سأتزوج جوردون هوايتفيلد ؟

فأومأت مس وينفليت برأسها وقالت :

– أنت ذكية .. ذكية جداً .. وسيكون في هـــذه السكين الدليل القاطع على إدانته .. وسيجدونك هنا وقد حز عنقك بالسكين .. السكين التي يملكها وعليها بصمات أصابعه .. لقد طلبت منه أن يريني إياها صباح اليوم ، ثم سرقتها منه ووضعتها في حقيبتي بعد أن لففتها في منديل .. وهذا يدل على ذكائي .. ذكائي الذي أتمتع به منذ ان كنت فتـــاة .. ثم جاء جوردون .. ابن صانع الأحذية الطموح – وكنت أعلم أنه سيرتقي سلم النجاح ثم تركني .. تركني أنا .. وكل ذلك بسبب الطائر اللعين .. تركني أنا ابنة الكولونيل وينفليت، فأقسمت على أن يدفع ثمن ذلك .. كنت أفكر في ذلك ليلة بعد ليلة .. ثم أصابنا الفقر

ـ على فترات من الزمن ـ وعرض منزلنا للبيع فاشتراه هو وعاد إلى هنا ليمنّ عليّ ببعض الفتات ، وعرض علي عملاً في منزلنا القديم .. يا لله .. كم كرهته عند ذاك .. ولكنني لم أظهر عواطفي هذي .

وصمتت برهة ثم عادت تتابع حديثها .

ـ في أول الأمر فكرت في قتـــله .. وبدأت أقرأ كتب علم الاجرام في المكتبة ، ومنها تعلمت كيف يمكنني أن أدير المفتاح في قفل الباب من الخارج بواسطة كماشة كما فعلت في باب غرفة الفتاة آمي وأستبدل الزجاجات .. يا لله.. لقد كانت تلك الفتاة تغط في نومها غطيطاً عميقاً. .آه .. ترى ماذا كنت أقول.

وفي صوت خافت قالت بريدجت :

ـ تقولين انك فكرت في بادىء الأمر في قتله .

ـ نعم .. ولكن ما كان ذلك ليرضيني .. كان القتل له هو الشيء العادي الذي يراودني ولكنه كان يستحق أكثر من ذلك ، ثم بدت لي تلك الفكرة .. لا بد أن يتعذب بسبب سلسلة من الجرائم التي لا يكون قد ارتكبها .. يجب أن يعتبر قاتلا. .يجب أن يشنق بسبب الجرائم التي اقترفتها أنا ، أو يعتبر مجنوناً وتقيد حريته ويسجن طوال حياته وهو الأفضل .

وضحكت .. ضحكة خبيثة غريبة ، بينما كانت عيناها تبرقان بريقاً مخيفاً ، ثم قالت :

ـ وكما ذكرت لك انني كنت قد قرأت كثيراً كتباً في علم الاجرام ، ولذا كان علي أن أنتقي ضحاياي لأنني لم أرد أن تحوم الشبهات من حوله أول الأمر وكنت أنا أهوى القتل .. وكنت أكره تلك المرأة ليديا هورثون لأنها وصفتني يوماً بالعانس العجوز ، ولذا سررت عندما تعاركت مع جوردون.. ولذا أردت ضرب عصفورين بحجر واحد فكنت أضع لها الزرنيخ في الشاي الذي تشربه ، وأنا أجلس بجوار فراشها ثم أخرج لأقول للمرضة ان مسز هورثون تشكو من مرارة العنب الذي أرسله اليها لورد هوايتفيلد ، ولكن الممرضة الغبيـة لم تردد

قط ما كنت أقوله لها .

ثم جاء الآخرون فكنت كلما سمعت عن غضب جوردون على شخص منهم سهل عليّ أن أدبر حادثة يموت بسببها ذلك الشخص، وكان هو على درجة كبيرة من الغباء جعلته يصدقني عندما قلت له ان لديه ميزة عجيبة في أن كل من يعارضه يموت .

– ولكن كيف أمكنك تدبير كل ذلك ؟

– إن الأمر في منتهى البساطة ولا يقتضي إلا التنظيم ، إذ عندما فصلت آمي من خدمة اللور استخدمتها عندي فوراً ، وأظن ان فكرة استخدام طلاء القبعات كانت فكرة نيرة وخاصة ان الباب كان مغلقاً من الداخل ، وكنت في مأمن من الشك لعدم وجود أي دافع عندي لقتلها .. وكان قتل كارتر أسهل إذ كان يسير فوق القنطرة والضباب يكسو المنطقة عندما دفعته بسرعة إلى النهر .. ثم انني لا أنسى منظر وجه تومي عندما دفعته من النافذة .

وصمتت وكأنها تسبح في ذكرياتها فسألتها بريدجت بعد فترة :

– وماذا عن دكتور همبلي ؟ لا بد أن الأمر معه كان صعباً !

– نعم .. ولكن اذن القط الذى أملكه كانت تمج صديداً ، ثم افتعلت إصابة يد الدكتور همبلي بمقص كان في يدى ، وعندما صممت وألححت على أن أنظف الجرح وأضع ضمادات بنفسي ، ولكنه لم يكن يعرف ان تلك الضمادات ملوثة بصديد من أذن القط .. كانت خبطة عشواء ولكنها نجحت وخاصة ان القط لم يكن ملكي وقتئذ بل هو ملك لافينيا بينكرتون .

وسكتت لحظة عبس فيها وجهها وقالت :

– لقد اقتربت لافينيا بينكرتون من الحقيقة فإنها هي التي وجدت تومي بعد وقوعه من النافذة .. ثم فاجأتني أثناء ذلك الشجار بين جوردون ودكتور همبلي وأنا أنظر في غير حذر إلى همبلي وأفكر في أفضل طريقة للتخلص منه ، وعرفت أنها قد كشفت سرى .. كنت أعرف أنها لا تقدر على إثبات شيء

ضدى ، ولكنني خفت أن يصدقها واحد من رجال سكوتلانديارد ولذا تتبعها في ذلك القطار.. وكانت تعبر الطريق في لندن في شارع هوايتهول عندما رأيت سيارة مقبلة في سرعة فدفعتها بشدة أمامها بدون أن يراني أحد ، ثم ذكرت لامرأة انني شاهدت رقم السيارة التي دهمتها وأخبرتها عن رقم سياة هوايتفيلد مؤملة أن تذكر ذلك لرجال الشرطة .. ومن حسن الحظ أن السيارة لم تتوقف وأظن أن سائقها كان خائفاً بسبب قيادته لهـــا بدون أمر من صاحبها . أما الحادث الأخير مع ريفرز فقد كان من حسن حظي انني قدت لوك إلى مشاهدة عراك جوردون مع سائقــه .. أوه .. كم كان من الصعب جعل لوك يشك في جوردون .. ولكن بعد موت ريفرز لم يكن هناك أى مناص في أن يشك فيه .

ثم قامت من مكانها واقتربت من بريدجت وقالت في صوت خافت :

— لقد تركني جوردون وكان سيتزوج منك .. لقد عشت حياتي في يأس إذ لم يكن لدى أى شيء .. أى شيء على الاطلاق .

وانحنت فوق بريدجت ولمع في يدهـــا نصل السكين .. وفي لمح البصر .. وبكل شبابهـــا وقوتها قفزت بريدجت من مكانها وكأنها نمرة شرسة ، ثم ارتمت بكل قوتها على المرأة الأخرى لتلقيها على ظهرها وتقبض على رسغها الأيمن ..

وأخذت هونوريا وينفليت بالمفاجأة فارتمت على ظهرها ، ولكن لم تمض لحظة حتى بدأ العراك في جنون .. كانت بريدجت الأصغر والأقوى ، ولكن جنون الثانية أضاف اليها عاملاً تغلب على العاملين الآخرين ، إذ بدأت تتعارك وكأنها شبه شيطان وبعد شدّ وجذب تغلبت المرأة المجنونه على الفتاة فأخذت تصيح :

— لوك .. انقذني .. انقذني .

ولكن لم يكن لديها أى أمل في أن ينقذها أحد وسط تلك الحقول الخالية المترامية .. وما هي إلا هنيهة حتى شعرت بيدى هونوريا تطبقان على عنقهـــا ليحبسا آخر صرخة أرادت إطلاقها .

الفصل الواحد والعشرون

بداية جـــديدة

كان لوك على أهبة مغادرة الفندق عندما رأى سيدة كانت تسرع في الطريق تتوقف فجأة عندما وقع نظرها عليه .

مستر فيتز ويليم .

— مسز همبلي .

وتقدم منها وهز يدها محيياً فسألته .

— لقد ظننت انك قد غادرتنا ؟

— كلا .. انني فقط قد استبدلت مكان إقامتي إذ أقيم هنا الآن .

— وماذا عن بريدجت ؟ سمعت أنها غادرت آسن مانور .

— نعم .

فتنهدت مسز همبلي في ارتياح وقالت :

— كم أنا سعيدة بذلك لأنها غادرت ويتشوود .

— ليس الأمر كذلك فإنها لا تزال هنا وهي تقيم مع مس وينفليت .

وتراجعت مسز همبلي إلى الوراء خطوة وقالت :

— تقيم مع هونوريا وينفليت .. ولكن لماذا ؟

– لقد كانت مس وينفليت كريمة ، إذ سألتها أن تكون ضيفة عليها لبضعة أيام .

واهتزت مسز همبلي ثم وضعت يدها على ذراع لوك وقالت :

– انني أعرف يا مستر فيتز ويليم أنه لا حق لي في قول ذلك ولقد مررت بأحزان كبيرة في الوقت الأخير حتى يخيل لي أنني أشعر بأشياء غريبة .

– مثل ماذا ؟

– الشعور بالشر .. الشر الموجود هنا في ويتشوود .. تلك المرأة وراء كل ذلك الشر .

– أية امرأة .

أنا متأكدة ان هونوريا وينفليت امرأة شريرة جداً .. آه .. انني أرى انك لا تصدقني ، ولكن لم يصدق أحد لافينيا بينكرتون أيضاً .. ولكن ، كلانا يشعر بذلك .. وأظن أنها كانت تعرف أكثر مما أعرفه أنا .. أرى انك ما زلت لا تصدقني .. أستودعك الله وأرجوك أن تنسى ما قلته لك الآن .

وتركته مسرعة وهو لا يزال يفكر في السبب الذي يدعو مسز همبلي إلى وصف مس وينفليت بالمرأة الشريرة .. ولم تمض دقائق حتى شعر بالحاجة الملحة إلى أن يذهب ليرى بريدجت ، فاستقل سيارته وعندما وصل إلى المنزل أخبرته الخادمة اميلي بأن السيدتين قد خرجتا واتجهتا نحو الحقول منذ فترة فأسرع في ذلك الاتجاه وهو لا يدرى أين يتجه .. ولكن بعد فترة وصل إلى سمعه صوت صرخة خافتة تقول : « لوك .. أنقذني .. أنقذني » ، فاتجه ناحية الصوت في سرعة عمياء في الوقت المناسب ليجذب يدى امرأة مجنونة من حول عنق ضحيتها وأن يقبض عليها بيدين حديدتين وهي تصيح وترغي وتزبد حتى اعترتها رعشة فقدت بعدها الوعي بين ذراعيه .

★

جلس لورد هوايتفيلد وهو لا يكاد يصدق ما سمع ويردد :

– ولكنني لا يمكنني أن أفهم ذلك .. لست بقادر على ذلك .

كان يجلس أمامه أحد رجال شرطة سكوتلانديارد ولوك وبريدجت بعد أن قصوا عليه قصة مس وينفليت وكيف انها قامت بارتكاب كل تلك الجرائم بغرض التخلص من اللورد هوايتفيلد ، وكيف انها بنت كل خططها عقب تركه إياها وفصم « خطوبتها » وكيف أنها ذكرت أن غريزة القتل دفينة في نفسه منذ أن دق عنق طائر الكناريا .. وهنا قاطعهم لورد هوايتفيلد وقال : إن الذى فصم « الخطوبة » هو وليست هونوريا لأنها هي التي قصمت عنق الطائر .

وبعد استيضاح الأمور سألت بريدجت لورد هوايتفيلد أن يصفح عنها هي ولوك لأن كلا منهما أحب الآخر ، فقال لها إنني لا أحمل لها أية ضغينة .

وخرج لوك وبريدجت من آسن مانور واتجها إلى سيارة لوك حيث جلسا فيها في تأمل قبل أن يعودا بها إلى مقرهما، وبعد لحظات سألت بريدجت لوك:

– ولكن ماذا عن الدم الذى شاهدته على يدى الزورثي وبماذا تفسره ؟

– لا بد أنه دم ديك قام هو وزملاؤه بذبحه تلبية لشعائرهم .

– لا بد أن الأمر كذلك ولكن خبرني في صراحة هل تعجب بي ، وتحرك لوك ناحيتها ولكنها دفعته قليلا وابتعدت عنه قائلة :

– لقد قلت تعجب بي .. لا ، انك تحبني .. أليس كذلك ؟

– بلى. أعرف الآن ما تعنينه، انني أعجب بك يا بريدجت كما انني أحبك.

فابتسمت بريدجت وقالت :

– وأنا أيضاً أعجب بك يا لوك .

ونظر كلاهما إلى الآخر نظرة فيها خجل وحياء كطفلين صغيرين وصمتا فترة طويلة قطعها لوك بقوله :

– لقد كنا على كثب من الموت في فترات طويلة .. ولقد أصبح ذلك كله من الماضي .. والآن .. الآن سنبدأ حياتنا سوياً .